تفصيل النشأة الثانية

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الهادي للسبيل، والموفق بمعونته لما يحبه من القول والعمل، شرعا شرعه، وسبيلا و ضحه، والصلاة السلام على سيدنا مُحَّد ﴿ﷺ﴾، صلاة تشرح بها صدورنا، وتزيل بها غمومنا، وتقضي بها حواجنا، وتحصننا بها من كل شر يارب العالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الهادين المهديين، ورضي الله تبارك وتعالى عن إمامنا المجدد السيد مُحَّد ماضي أبو العزائم ﵇، وأنار الله روضة خليفته الأول مولانا السيد أحمد ماضي أبو العزائم ﵇ آمين.

وبعد: فتقدم مشيخة السادة العزمية الطبعة الثانية من كتاب "تفصيل النشأة الثانية" للإمام المجدد السيد مُحَّد ماضي أبو العزائم والكتاب في الأصل كان إجابة لسؤال وجه للإمام ﵇ والكتاب في الأصل كان إجابة لسؤال وجه للإمام ﵇ من سعادة محمود باشا سليمان، طالبا شرح أحوال البرزخ وما بعده، فرأى الإمام أن ينشر هذه الإجتبة في كتاب ليعم به النفع، فقام بطبعه سيدي العارف بالله تعالى السيد أحمد ماضي أب العزائم ﵇ سنة 1333هـ الموافق 1915م.

والكتاب بإيجاز، يبين لنا أن من الحكمة الإلهية أن تظل الحياة البرزخية التي تنتظر الإنسان، معماة عليه، لأنه لو علم ما بعد الموت تمام العلم، ولو أطلعه الله سبحانه وتعالى على ما بعد الموت، ورآه رأي العين، لغدا كل إنسان طاهرا ولا انعدمت حياة الشر من مجتمعنا الإنساني، لذلك كانت هذه التعيمة، إختبارا لإيماننا، فالذي لا يؤمن إلا بالمحسوس الملموس أقل درجة من الذي يؤمن بالغيب، والذي يؤمن بالغيب في

صدق ويقين، يحظى بالدرجات العلا. والحياة البرزخية يستحيل على علماء الدنيا أن يبينوا ما فيها أو أ،ن يقدروا بآلاتهم ونظرياتهم على كشفها والإحاطة بها، فلا علم عن هذه الحياة البرزخية إلا ما كشفه الله سبحانه في كتابه، ووصلنا من الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وفي هذا الكتاب نقدم بالباب الأول مفارقة الروح للجسد، والغسل والكفن، وتشيع الجنازة، والدفن وهيئته، وآداب زيارة القبور.

وفي الباب الثاني : البعث، وكيفيته، وأدلته من الكتاب والسنة وبيان لمنكري إعادة الأشباح.

وفي الباب الثالث: القيامة، ووسائل الناجاة من هولها والفتن قبل القيامة والإعاد ليوم الجزاء، ورؤية الله تعالى، ودلائلها.

وفي الباب الرابع قبس من السر المصون في حكمة إيجاد الله للخلق، والشفاعة، ورشفة من طهور العرفان لبيان فضل الله تعالى ورحمته للعالمين، وقبس من الضنون في أن الإسلام هو دين الفطرة والكرامة والإنسانية.

وهذه الأبواب تحوي معرفة إجمالة لمن يتطلع إلى النجاة يوم القيامة، ويتشوق للتزود لهاذ اليوم ويسعى جاهدا ليفوز برضوان الله تعالى حتى يكون سعيه مشكورا ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾.

رب أنعمت فزد.

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منح من أحبهم شوقا إلى العلم ومسارعة إلى العمل به وجعلهم أنجم هدى لأهل عصرهم، والصلاة والسلام على من قال : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وآله وورثته وصحابته.

وبعد فيقول خديم الفقراء مُحَمَّد ماضي أبو العزائم : طلب منى أخي وحبيبي العامل المخلص لدينه ووطنه سعادة محمود باشا سليمان(1)– أطال الله عمره ونفع به – أن أشرح له أحوال البرزخ وما بعده ليتمثله فى كل أنفاسه ؛ لأن الإيمان به المجرد عن العلم بأحواله الخاصة لا يكفى فى مراقبة ذلك اليوم وأهواله وشدائده، ولا يجعل الإنسان يعمل لنيل الخير فيه فعلمت أن الله تعالى جعل سعادته سبباً لخير عام، فإن أكثر المسلمين الآن كادوا أن ينسوا ذلك اليوم بدليل ما نراه منتشراً بيننا من استغراق الوقت فى العمل للدنيا وإهمال العمل للآخرة ومن انتشار المحرمات كالخمر والزنا والغيبة والنميمة والعداوة بين الناس وهجر المساجد وعمارة الملاهي وإنفاق المال فى وجوه الإسراف وترك إخراج الزكاة من الكثيرين وترك القيام بالحج والجرأة على تلك الأعمال دليل على نسيان يوم القيامة لتلك الاعتبارات لبيت دعوة صديقي وحبيبي ورأيت من الواجب على أن أجعل الجواب رسالة جامعة لتلك الحقائق وأن أتمم هذا المقصد العظيم بنسيان الطريق الموصلة لنيل الخير يوم القيامة.

والله أسأل أن يمنحنا الإخلاص فى العمل وقبول ما يوفقنا لعمله، وأن ينفعنا وينفع بنا وأن يجعل هذه الرسالة نافعة لنا ولإخوتنا المؤمنين جميعاً، وسميتها (رسالة تفصيل النشأة الثانية).

---

(1) محمود سليمان (باشا) هو والد مُحَمَّد محمود (باشا) أحد رؤساء الوزارات

مقدمة

إن الله تعالى أثنى على الذين يؤمنون بالغيب فقال سبحانه ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (1) فطالبنا أولا بالتصديق بما جاء به رسول الله ﴿ﷺ﴾، ثم أمرنا بمجاهدة أنفسنا لتزكو، فاذا زكت النفوس استعدت لتلقي العلم، بما يجعله الله في الإنسان من النور الذي به يعقل عن الله تعالى، ودليل ذلك أن الله تعالى حثنا على طلب العلم وعلى الفكر في الآيات المنبجة في الكائنات بآيات لا تحصى.

والإيمان هو التصديق، والعم هو تصور المنفس رسول المعلوم، وقد أثنى الله على العلماء وجعل العلم هو تصرو النفس رسول المعلوم، وقد أثنى الله على العلماء وعل العلم مزيد الإيمان، قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (2) وقال: ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) (3).

ورسول الله ﴿ﷺ﴾ أعلم الأنبياء بالنفس، فكان يبين للناس بقدر عقولهمحتى أكلم الله لنا ديننا، فعلم البرزخ وما بعده يجب أولا التصديق بما جاءنا به رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ من أوال البرزخ والقيام ثم نجاهد أنفسنا في طلب العاموالمعمل به حتى يجعل الله لنا نورا نتصور به تلك الحقائق.

(1) البقرة 2/3-5

(2) الزمر 39/9

(3) الروم 30/56

الباب الأول

في الموت والجنازة والدفن وهيئته

أول واجب على الحاضرين

لمن فى النزع

يجب أن يلقنوه لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله لتكون آخر كلمة ينطق بها أو يسمعها إن خرس لسانه، فعن أبي سعيد - رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) أخرجه الخمسة إلا البخاري.

والمعنى - والله أعلم أن يلقن كلمة التوحيد حال النزع قبل الموت، وبعدها تقرأ سورة يس والظاهر أن قراءتها فى حالة النزع أولى ليسمع الميت قوله تعالى : (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)(1) فعن معقل ابن يسار– رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : (اقرأوا على موتاكم سورة يس) أخرجه أبو داود، فإذا قرأناها حال الموت وبعده كان أكمل.

آداب الجالسين حول الميت عند مفارقة الروح

المسارعة إلى تغميض عينيه والدعاء له بخير وسرعة قول :

(إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني فى مصيبتي وأبدلني خيرا منها وأبدله أو أبدلها خيراً مني فردوسك الأعلى ورضوانك الأكبر والعفو والغفران.

وقهر النفس عند الصدمة الأولى وترك الجزع و الهلع والصخب والدعاء على النفس والمال، فإن الملائكة تنزل فى هذا الوقت فتؤمن على الدعاء.

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : (دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شن بصره فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله، فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال : اللهم

(1) سورة يس آية 26 –27

اغفر لأبي سلمة وارفع درجته فى المهديين وأخلفه فى عقبة فى الغابر ين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له فى قبره ونور له فيه)

حســـن الخاتمـــة

المؤمن عند سكرات الموت تتنزل عليه الملائكة وهو فى شديد الخوف وعظيم الحزن فيقولون له : ما الذي أخافك يا عبد الله ؟ فيقول أخاف ذنوبي وعقوبة ربي، فيقولون له : أبشر بخير فإن ربك قد غفر لك وأعد لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعـــت ولا خطـــر علـــى قلـــب بشـــر مـــن النعـــيم المقـــيم. ويقولون له : علام تحزن ؟ فيقول : أحزن على أهلي وأولادي وأقاربي فيقولون له : يا عبد الله لا تحزن فإن الله وليك عليهم ووكيلك فيفرح المؤمن قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المِلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلَيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)(1).

حالـــة المؤمـــن عنـــد المـــوت

عند سكرات الموت تحضر ملائكة الرحمة وفى أيديهم حريرة بيضاء، ويبشرون الروح برضوان الله تعالى وحبه ﷻ فى لقائها ورجوعها إليه ويقولون لها ارجعي إلى ربك راضية مرضية فتخرج الروح فرحة بلقاء ربها، فتحمل على الحريرة البيضاء وينتشر منها أطيب من ريح المسك يشمه الملائكة وأهل القرب من الله تعالى فتتناولها الملائكة حتى تصل إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء ويعجب ملائكة السماء من ريحها، حتى تصل إلى أرواح المؤمنين فيستقبلونها ببشاشة ومسرة ويتبادرون إليها ليسألونها عن أهليهم وأقاربهم، ثم يقول بعضهم لبعض : دعوها فإنها كانت فى هم الدنيا، فإذا قالت لهم إن فلانا قد مات. فهل جاءكم ؟ فيقولون لم يأتنا ولكن رد إلى سجين فيكون

(1) سورة فصلت آية 30-32

بحسب مقامه إما فى جوف طير أخضر يرعى فى بساتين الفردوس، أو فى عليين، أو فى ظلال صور الرحمة حتى تقوم القيامة، فعن أبي هريرة – رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا احتضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : أخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به أبواب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحابه من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان فى غم الدنيا، فإذا قال فلان قد مات ما أتاكم ؟ قال ذهب به على أمه الهاوية...)(1).

سوء الخاتمة

أعاذنا الله منها جمعياً

الأنواع التى تصيبها فاجعة سوء الخاتمة :

هي شر عقبة تعتري : أهل الكفر والنفاق.

وأهل الكبائر من العاقين لوالديهم والقاطعين للأرحام.

وقاتلي النفس التى حرم الله قتلها.

والظلمة الذين يظلمون عباد الله.

والمستحلين فروج الأجانب وخصوصاً من الجيران والأقارب – أعاذنا الله من شر تلك الخطايا.

والمدمنين على شرب الخمر.

والذين يقتلون أنفسهم باستعمال ما يفسد العقول ويجفف الأدمغة ويمزق أغشية القلب بتعاطي العقاقير المخدرة كالأفيون والبنج والمركبات التى تحرق المعدة والمعي لتحصل لهم القوة على وطء النساء، وكذلك الذين يقتلون أنفسهم بشم السموم

(1) أخرجه النسائي

القاتلة كالكوكايين وتعاطي المورفين وغيرهما مما اخترعه أعداء الله وأعداء رسوله وأعداؤنا الإفرنج واستعملوه فى الحروب لقتل أعدائهم، وقد نشروه بين أهل الجهالة بالدين ليهلكوهم بسلب أموالهم وعقولهم وإفساد صحتهم – أعاذنا الله من هذا البلاء.

والذين يقتلون أنفسهم بصحبة أهل الجهالة الذين يدعون الولاية والإرشاد فيأمرونهم بالخلوة، وترك الطعام والشراب، ودوام الذكر من غير رعاية الصحة والآداب الشرعية فيفسدون أمزجتهم فيقوى الخيال والوهم حتى يفقدوا العقول ويكونون ضرراً على المسلمين ؛ فإن المجاهدة من غير ملاحظة آداب الشريعة تصفو بها النفس من الاشتغال بتدبير الجسم فيتسلط سلطان الشهوة والهوى ويتمكن إبليس من هذا المسكين فيخيل له ما به يظن أنه ولي أو نبي أو المهدي المنتظر أو هو الرب النافع الضار لما يجلي لنفسه من وميض الغيب الكوني، وهؤلاء أشبه بالسحرة والكهنة والنجاة من هذه البلايا كلها تكون صحبة أهل العلم العاملين المخلصين اقتداء بسلفنا الصالح.

كل تلك الأنواع تصيبهم فاجعة سوء الخاتمة لأن الحجاب إذا كشف عند الموت ظهر للميت بطلانه وقد فات التوبة وإنما معلوم علمه وعمله وصورة الإحلاص فى العمل ومطابقة ذلك العمل لنصوص الشريعة فإذا انكشف الحجاب عن العمل لعدم الإخلاص أو فساده لمخالفة رسول الله ﷺ حصل اليأس – أعاذنا الله من مخالفة رسول الله ومن العمل بغير إخلاص – قال ﷺ فى ذكر موت الكافر فى بقية الحديث السابق : (وأن الكافر إذ حتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون :أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار).

جــواز البكاء عند الموت وبعده :

إن الله سبحانه وتعالى أودع فى قلوب أهل العناية رحمة تقهر أهلها عند مقتضياتها.

وأعظم مقتضيات تلك الرحمة وقت الموت فإن الإنسان لا يقتدر أن يزيل عن المحتضر من سكرات الموت، ولا يطيق الصبر على ما يراه فيبكي مقهوراً وهذا البكاء دليل الرحمة ولم تحرمه الشريعة فجريان دموع العين والتهاب القلب بنار الحزن ورفع الصوت بالنشيج والتأوه ليس بمحرم، وخصوصاً إذا كان المتوفى من أهل العلم والعمل الذين جعلهم الله أنجم هدى للأمة من بفقدهم يفقد الناس العلم والبيان والبركة.

والصبر فى هذا الوقت هو الصبر على ترك عمل الجاهلية من خمش الوجوه وشق الجيوب والعويل بالويل والثبور والدعاء على النفس والمال فمن دمعت عيناه وحزن قلبه وارتفع صوته بالبكاء من غير كلام لشدة الحزن على الفقيد فذلك ما لاطاقة لذي قلب رحيم على تركه فإن الإنسان إذا اشتد عليه حزن القلب ولم تدمع عيناه ربما أصابه مرض قلبي أفسد عليه صحته، والله أرحم الراحمين بخلقه وكم دمعت عينا رسول الله ﷺ عند موت بعض أصحابه.

دليـــل مـــا قررنـــاه

بينت أن البكاء عند الموت، بعده جائز مالم يخرج إلى خمش الوجوه أو شق الجيوب أو العويل بما يكرهه الله تعالى، ودليل ذلك عمل رسول الله ﷺ وقوله.

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه فى حديث طويل قال فيه : (ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال : ابن عوف وأنت يا رسول الله ؟! فقال : يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال : إن العين تدمع وإن القلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) أخرجه الشيخان وأبو داود.

عن أبن أبي مليكة، قال : بعد كلام عن ابن عباس لما أصيب عمر – رضى الله عنه – دخل صهيب – رضى الله عنه – يبكي ويقول : وأخاه واصاحباه، فقال عمر – رضى الله عنه : يا صهيب، أتبكي علي وقد قال رسول الله ﷺ :(إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) فقال ابن عباس – رضى الله عنهما – فلما مات عمر – رضى الله عنه – ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فقالت : يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الميت ليعذب ببكاء أهله ولكن قال : إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه ثم قالت : حسبكم القرآن (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)(1) أخرجه الشيخان والنسائي.

وعن عائشة – رضى الله عنها – وذكر لها أن ابن عمر رضى الله عنهما يقول : (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) فقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها فقال : إنه ليبكى عليها وإنها لتعذب فى قبرها (أخرجه الستة إلا أبو داود.

وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال : (مات ميت من آل رسول الله ﷺ فأجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر– رضى الله عنه – ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله ﷺ : دعهن يا عمر فإن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب) أخرجه النسائي.

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن النبي ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت وعيناه تذرفان، أخرجه أبو داود ولترمذي.

وعن أنس رضى الله عنه قال : (قنت رسول الله ﷺ شهرا حين قتل القراء فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنا قط أشد منه) أخرجه الشيخان.

النهي عن البكاء على الميت

(1) سورة الأنعام آية 164

قد يظن القارئ أننا بينا جواز البكاء على الميت وليس الأمر كذلك، فالبكاء الجائز على الميت محصور فى حزن القلب ودمع العين هذا ما لا يطيق الإنسان منعه عنه حتى لو ارتفع الصوت من غير ألفاظ أما البكاء المنهي عنه فخمش الوجوه وشق الجيوب والنعى، والتعديد ؛ بأن يجتمع النساء فى دار الميت بعد موته ويجلسن يعددن صفاته ويَصِحْن، أو يجتمع الرجال فيرفعون أصواتهم بالعويل وذكر مآثر الميت مما هو واقع الآن ؛ كليالي التأبين عند الرجال وأيام البكاء عند النساء وتلك المجتمعات مبغوضة من الله تعالى وهى مجتمعات شيطانية، وهذا هو البكاء المنهي عنه وبهذا جمعنا بين جواز البكاء والنهي عنه، وإلا فمن يصبر عند ما يري والده أو أحد أقاربه فى سكرات الموت ولم تدمع عينه أو يحزن قلبه أو يراه محمولاً إلى مضجعه الأخير ويصبر فلا تدمع عينه ولا يحزن قلبه فهذا ليس بصبر وإنما هو جفاء وقسوة.

إذا فقد تبين لك وجه الجواز ووجه النهي.

حجة النهي عن البكاء

عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : (لما مات أبو سلمة – رضى الله عنه – قلت غريب وفى أرض غربة لأ بكينه بكاء يُتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء إذ أقبلت امرأة تريد أن تسعدني فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال : أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله تعالى منه ؟ فكففت عن البكاء فلم أبك) أخرجه مسلم.

وعن جابر بن عتيك قال : (جاء رسول الله ﷺ يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فصرخ به فلم يجبه فاسترجع وقال : غلبنا عليك أبا الربيع، فصاح النساء وبكين فجعل ابن عتيك – رضى الله عنه – يسكتهن فقال صلى الله عليه وسلم :(دعهن يبكين فإذا وجب فلا تبكين باكية). قالوا : وما وجب ؟ قال :(إذا مات فقالت ابنته : والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيدا فإنك قد قضيت جهازك فقال ﷺ :(إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته وما تعدون الشهادة فيكم ؟ قالوا القتل فى سبيل الله تعالى قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل – المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة) أخرجه الأربعة إلا الترمذي.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (عاد رسول الله ﷺ سعد بن عبادة فوجدوه فى غشيته فقال : قد قضى، قالوا : لا : فبكى ﷺ فلما رأي القوم بكاءه بكوا فقال : ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم) أخرجه الشيخان.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) أخرجه الخمسة إلا أبا داود.

عن النعمان بن البشير رضى الله عنهما قال : (أغمى علي عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فجعلت عمرة أخته تبكى واجبلاه واجبلاه واكذا واكذا، تعدد عليه فلما أفاق قال : والله ما قلت من شيء إلا قيل لي أهكذا كنت ؟ قيل : فلما مات لم تبك عليه) أخرجه البخاري.

وعن جابر رضى الله عنه قال : (أخذ رسول الله ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلقوا إلى ابنه إبراهيم فوجدوه يجود بنفسه، فأخذه ﷺ فى حجره فبكى، فقال له عبد الرحمن : أتبكي أولم تكن نهيت عن البكاء ؟! قال : لا ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان..)أخرجه الترمذي.

فمن هذه الأحاديث الشريفة يظهر لك أن المنهى عنه تجاوز الحد فى البكاء أما دمع العين وحزن القلب والانفعال الشديد لصولة الأسف على القلب فذلك مما لاتنهي عنه الشريعة قال تعالى : (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) (1).

(1) سورة البقرة آية 186

الغسل والكفن

الغسل :

إذا مات المسلم سن على وليه أن يغمض عينيه ويوجه وجهه للقبلة ويجعل يديه ورجليه مستقيمة ويقرأ سورة يس ثم يسترجع بقوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ويأمر بها من معه ثم يسرع فى تجهيزه وغسله بالماء والسدر (وهو ورق النبق) وجاز بكل مطهر كالصابون، والأولى أن يعصر بطنه يغطي محل العورة بثوب ويغسل ويتحرى التشديد فى طهارة المواضع الغائرة كبين الفخذين وتحت الابطين وبين أصابع الرجلين ويحنط الميت بوضع الطيب فى أسفله ويصب الماء ثلاثاً أو خمساً مع الدلك ويسد الأنف والمخارج.

الكفن :

الكفن : هو ما يدارى به جميع الجسد من الثياب إكراماً للإنسان وحفظاً لجسده من سرعة التعفن، ولما كان الميت فى حاجة إلى العفو والرحمة فالأولى يولى أمره أن يجعل الكفن من حلال طيب، وأن يكون من نوع مباح شرعاً وكلما كان أقل فى القيمة كلما كان أفضل للميت وأبعد عن الرياء والإسراف، وما يعمله المغرورون بالدنيا من المغالاة فى الكفن وجعله من حرير أو محلى بالذهب أو الفضة أو من زخرفة القبر وبناء القباب عليه والحجرات حوله والتأنق فى فراشه وزخرفته فذلك من عمل الجاهلية والسنة فى الكفن خمسة أثواب : إزار، والإزار : كثوب الإحرام للرجل، ودرع: وهو كالقميص الذي يغطى جميع جسده، والخمار : وهو ما يغطي الرأس وما دونها، والملحفة : وهو ما يلتحف به فيغطي جميع الجسد ثم يلف فى ثوب خامس والأفضل أن يكون الكفن من الثياب البيضاء.

عن ليلي بنت قائف الثقفية قالت : (كنت فيمن غسل أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ، عند الباب معه كفنها يناولنا ثوبا ثوباً، فأول ما أعطانا الحقو، ثم الدرع، ثم الخمار، ثم الملحفة، ثم أدرجت فى ثوب آخر) أخرجه أبو داود.

وعن على – رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تغالوا فى الكفن فإنه ليسلب سلبا سريعاً أخرجه أبو داود — وأقل الكفن ثوب واحد ووسطة إزار وقميص وثوب يلف فيه.

تشييع الجنازة

قد ورد النهي عن المشي أمام الجنازة وورد أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما مشوا أمامها، وورد أن المشيع للجنازة له أن يمشي أمامها وخلفها ويمينها وشمالها وكل ذلك واسع، وورد أن الراكب يمشي خلف الجنازة وقد فصل أهل العلم هذا الموضوع فقالوا : إن كان الميت من أهل الخير قدموه أمامهم سائلين الله أن يلحقهم به وإن كان الميت من أهل المعاصي تقدموه سائلين الله أن يغفر له ويرحمه.

وورد النهي عن رفع الأصوات فى تشييع الجنازة والنهي عن وجود النار أمام الميت أوخلفه، وورد أن تشيع الجنازة وحملها وفاء من الحي بحقوق الميت وما يعمله من حرموا العبرة بالميت من تقديم المباخر والموسيقى ورفع الأصوات بالأذكار وغيرها من البدع الدالة على غفلتهم ونسيانهم واجب الوقت دليل على عمي البصيرة – حفظنا الله تعالى – مع أن نظرة واحدة بعبرة للميت محمولاً تقبل بالعبد على التوبة.

هذا ومن شر المعاصي ارتكاب المشيع ما يغضب الله تعالى من النظر فى النساء أو الحسد والغيبة والنميمة أو لطم الوجوه وشق الجيوب كل والدعاء بالويل والثبور أو النطق بكلام الجاهلية. والأولى للمشيع أن يتذكر اليوم الذي يكون فيه محمولاً إلى المرقد الأخير فيتوب إلى الله ويرجع إلى العمل نيل الخير بعد الموت والأولى الإسراع بالجنازة فإن كانت محسنة أنست بما أعده الله لها وإن كانت مسيئة أستراحوا منها —

عن أبي هريرة قال : (قال رسول الله ﷺ أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدموها عليه وأن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) أخرجه الستة.

صلاة الجنازة

إذا مات المسلم تجرد من الحول والقوة ونسبة الوجود له، وفارق كون الفساد راجعاً إلى ربه سبحانه فأبدل لله سيآته بحسنات أمام الخلق فأحبه الخلق أجمعون ورفعوه على أعناقهم وجعلوه كعبة يصلون عليه، وكذلك العبد إذا تحقق بالتوحيد ألقى الله عليه محبة منه وعظمة فى أعين الخلق، فرفعوه على رءوسهم وبذلوا له النفس والنفائس تقرباً إلى الله تعالى، وجعلوه كعبة لقلوبهم اقتداء به ؛ لأنه مات موتة الإرادة بالفناء عن مقتضى بشريته ولا ينكر على المسارعين إليه إلا من حرمه الله من نور البصيرة قال ﷺ : (موتوا قبل أن تموتوا) وقال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُداًّ)(1).

كيفية الصلاة على الجنازة

صلاة الجنازة أربع تكبيرات تدعو فيها بين كل تكبيرتين بالدعاء المأثور وجائز تدعو فيها بما يناسب المقام ويختار للإمامة فيها من يرضاه أولياء الميت وقد كبر رجل من الصحابة خمس تكبيرات وأخبر أن رسول الله ﷺ كبر خمساً، والأولى صلاة الجنازة خارج المسجد وجازت فى المسجد إذا تحقق طهارة الميت وحفظ المسجد مما يخرج منه من النجاسات فقد صلى رسول الله ﷺ فى المسجد، ونهى عن الصلاة على الجنازة فى المسجد والجمع بين الفعل والنهي أن الذي صلى عليه فى المسجد لم يخش منه نجاسة المسجد والنهي كان لخشية نجاسة المسجد مما يخرج من الميت.، ولنيل كل الأجر يخرج المشيع مع الجنازة من بيتهما فيصلى عليها الإمام واقفاً جهة وسط الرجل وجهة

(1) سورة مريم آية 96

منكبي المرأة (المنكبان الكتفان) ويتبعها حتى يقف على القبر عند دفنها ويدعو ويستغفر للميت وبذلك ينال قيراطين من الأجر – والله ذو الفضل العظيم.

الدعـــاء الــوارد فـــى صلاة الجنازة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء)أخرجه أبو داود، وعنه رضى الله عنه، وسئل كيف تصلى على الجنازة؟ قال : (اتبعها من بيت أهلها فإذا وضعت كبرت وحمدت الله تعالى وصليت على نبيه ﷺ، ثم أقول : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتك كان يشهد إن لا إله إلا أنت وأن مُحَمَّداً عبدك ورسولك وأنت أعلم به اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده) أخرجه مالك.

وعن عوف بن مالك رضى الله عن قال : (صلى النبي عليه الصلاة والسلام على جنازة فحفظنا من دعائه :(اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد. ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيراً من أهله. وزوجاً خير من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار) قال عوف – رضى الله عنه – حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميتأخرجه مسلم واللفظ له والترمذي والنسائي وعن الحسن أنه قال : (نقرأ على الطفل فاتحة الكتاب ونقول : اللهم أجعله لنا سلفاً وقرطا وذخراً وأجرا) أخرجه البخاري، وعن جابر رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الطفل لا يصلى عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل أخرجه الترمذي.

وعن نافع قال : (كان ابن عمر رضى الله عنهما يصلى على الجنازة بعد الصبح وبعد العصر إذا صليتا لوقتيهما) أخرجه مالك عن ابن عباس رضى الله عنهما

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله تعالى فيه) أخرجه مسلم وأبو داود.

الدفن وهيئته

السنة الإسراع بالميت إلى لحده، وأن يدفن نهاراً بعد أن يغسل ويكفن ويصلى عليه إلا لضرورة تدعو إلى دفنه ليلاً، والسنة أن يدفع الشهيد بدمه وثيابه والسنة أن يدفن فى لحد لا فى شق، وهيئة الدفن معلومة ومن السنة أن يستغفر الناس للميت بعد دفنه مباشرة ويسألون الله له العفو.

الوارد فى تعجيل الدفن وهيئته ودعائه

عن الحصين بن وحوح قال : (لما مرض طلحة بن البراء أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فقال : إني لا أراه إلا قد حدث به حادث الموت فأذنونى به لي به وعجلوا فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تجبس بين ظهراني أهله) أخرجه أبو داود.

وعن جابر رضى الله عنه قال : (خطب رسول الله ﷺ يوماً فزجر أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك، وقال : إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (اللحد لنا والشق لغيرنا) أخرجه أصحاب السنن.

وعن عثمان رضى الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف على قبره وقال : استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فأنه الآن يسأل) أخرجه أبو داود.

وعن على رضى الله عنه أنه كان يقول إذا فرغ من دفن الميت (اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير منزول به فأغفر له ووسع مدخله) وأخرجه رزين.

التماثيل وتجصيص القبور

يجهل الناس حكمة الشريعة فى النهي عن التماثيل وتحصيص القبور، ولو علموا الحكمة لما وسعهم إلا إخفاء القبور وقد وصى عمر بن عبد العزيز أن يحفر له فى الأرض ثم يدفن ويردم عليه ويزرع فوقه حتى لا يجعل المسلمون قبورهم مساجد كما فعل النصارى. وقد نهى رسول الله ﷺ عن التماثيل وتحصيص القبور وهذا لا يمنع أن نضع حجراً عند رأس الميت ليعرف قبره.. وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك فوضع حجراً عند رأس عثمان بن مظعون على قبره، وإنما النهي عن تحصيص القبور ووضع التماثيل فى البيوت أو عند القبور ؛ لأن ذلك من عمل الجاهلية ومن الرياء والكبر. وجمال القبر أن يكون روضة من رياض الجنة وأن تجري على ساكنه خيرات الصدقات والدعوات من أهله، ونهى ﷺ عن البناء على القبر، وعن الوقوف عليه والجلوس عليه وعن وجود النار عنده والكتابة عليه.

الوارد فى النهي عن التماثيل والتجصيص

عن أبي الهياج الأسدى قال : قال لي علي رضى الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ قال : اذهب فلا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفا إلا سويته) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

وعن المطلب بن أبي وداعة قال : (لما مات عثمان بن مظعون وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين فلما دفن أمر رسول الله ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر فيعلم قبره به فأخذ حجر أضعف عن حمله فقام رسول الله ﷺ فحسر عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال : أعلم به قبر أخي فأدفن عنده من مات من أهله) أخرجه أبو داود.

وعن جابر رض الله عنه قال : (نهي رسول الله ﷺ أن يجصص القبر : وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه، وأن يكتب عليه وأن يوطأ) أخرجه الخمسة إلا البخارى.

زيـــــارة القبـــور

معلوم أن رسول الله ﷺ نهى عن أشياء ثم أباحها وقد شدد رسول الله ﷺ فى النهي عن زيارة النساء القبور، ويظهر أن هذا النهي خاص وعام. أما عمومه فلأن المرأة ناقص عقلها سريع تأثيرها فنهي عن زيارتها القبور مع الجنازة لما تفعل من المنكرات عند رؤية الجنازة أو عند رؤية القبر، وتذكيرها ما كان ينالها من المدفون وذلك ما لا يقوى على تحمله النساء.

وأما الخاص منه فلأن المرأة فتنة والمجتمعون للجنازة منهم البار وغيره وكذلك الموجدون عند القبور فنهى رسول الله ﷺ عن زيارة المرأة للقبور سدا لأبواب الفتن.

وثبت أن رسول الله ﷺ نهى الرجال عن زيارة القبور قبل الإسلام لما كانوا عليه من عوائد الجاهلية عند القبور فلما محا نور الإيمان ظلمة العادة وهشت له القلوب وبشت أباح رسول الله ﷺ زيارة القبور للرجال قال عليه الصلاة والسلام : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) أخرجه الخمسة إلا البخاري.

فبين ﷺ حكمة الزيارة للزائرين ولم يبح زيارة القبور للفجر والخيلاء والرياء ووضع المطابخ والمخابز جارها ولعلك تفقه من قوله تذكركم الآخرة ما يجعل قلبك يتمثل ذلك اليوم وما قبله، فيسارع بك إلى محاب الله ومراضيه وإني أري ما يعمله الناس عند القبور الآن مما ينسى الآخرة. أسأل الله أن يجدد ربنا السنة، ويمنحنا حسن اتباع رسول الله ﷺ لننال محبة الله لنا.

الأحوط منع النساء من تشييع الجنازة :

يظهر أن نهي النساء عن زيارة القبور لم ينسخ بقوله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور) والأحوط أن يمنع النساء عن تشييع الجنازة وزيارة المقابر منعاً باتاً رحمة بالموتى وخصوصاً يمنعن عن زيارة الأضرحة المباركة فإن التصريح لهن مخالفة للسنة ومؤد

إلى الفتنة، وموجب لاشتغال النساء بالخروج من بيوتهن والله تعالى يقول : (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)(1).

وأنا نرى المرأة الآن تبدى عورتها فضلاً عن زينتها فإن الزينة الخاتم والحناء والكحل والمرآة الآن تظهر مرفقيها ونحرها وساقيها وتحدد ثدييها ووسطها وعجزها بالملابس. أعاذنا الله من البدع المضلة ومنحنا الله الغيرة للعرض أنه مجيب الدعاء.

(1) سورة مريم آية 96

الجلوس على القبور

الأولى عدم الجلوس على القبور إلا لضرورة من وجود ماء أو خوف حيوان مؤذ وقد حرم رسول الله ﷺ البول والتغوط على القبر ولم يسمع عنه ﷺ أنه جلس على قبر.

وقد ورد أن عليا بن أبي طالب عليه السلام كان يتوسد القبور ويضطجع عليها وله فى ذلك مشهد ومندوحة.

وورد عن سيدنا زيد بن ثابت – رضى الله عنهما – أن النهي عن الجلوس على القبور نهي عن الحدث عليها، ومتى تذكر الإنسان الدار الآخرة عند القبر لا حرج عليه أن يتوسد عليه أو يضطجع عليه أو يستند إليه.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن علي رضى الله عنه أنه كان يتوسد القبور ويضطجع عليها أخرجه مالك.

وعن عثمان بن حكيم قال : أخذ خارجة بن زيد بيدي فأجلسني على قبر وأخبرني عن عمه زيد بن ثابت أنه كان إنما كره ذلك لمن أحدث عليها. أخرجه البخاري.

ما يقوله الزائر عند زيارة القبر

عن ابن عباس – رضى الله عنهما — قال : مر رسول الله ﷺ بقبور أهل المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال :(السلام عليكم يا أهل القبور ويغفر الله لنا ولكم، أنتم لنا سلف ونحن بالأثر) أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى المقبرة فقال :(السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) أخرجه أبو داود.

التعـــزية

التعزية : هى أن يقوم الإنسان للمصاب – أو المصابة – بما يجعله يصبر أو تصبر على المصيبة، وهو فضيلة من الفضائل ولا يخلو إنسان من المصائب، والنفوس تتأثر بما يصيب غيرها وتتألم بآلامه. والتعزية سنة وهي أنواع كثيرة : فقد تكون بالمال للفقراء وبالطعام للجيران الذين شغلتهم المصيبة والموعظة، وغيرها من الكتابة والزيارة والقيـــام للمصـــاب بمـــا لا بدلـــه منـــه وأجرهـــا عنـــد الله عظـــيم جـــداً.
عن ا بن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : (من عزى مصاباً فله مثل أجره) أخرجه الترمذي.

عن أبي برزه – رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة) أخرجه الترمذي.

وعن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نعي بن جعفر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد جاءهم ما يشغلهم) أخرجه أبو داود والترمذي.

القبر وسؤاله

بينت لك أنواع الحياة فى المقدمة وكل ما يتعلق بالقبر من النعيم أو العذاب ملاحظاً فيه الحياة البرزخية ومن لاحظ الحياة فى بطن الأم والحياة فى الكون يسلم بالحياة البرزخية، وكلنا نعلم أن الروح لا تموت موت الجسد، وأن لها اتصال بالجسم كاتصال الشمس فى البئر وقد ورد أن الميت يسأل فى قبره عن ربه ونبيه، وأهل الإيمان

لا يترددون فى أن الله ربهم وسيدنا مُحَّداً ﷺ نبيهم إلا من مات على نفاق. فالمؤمن من تطيب له حياة الروح، والمنافق تسجن روحه فى سجن وهذا هو عذاب القبر عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده الغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار فيقال هذا معقدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) أخرجه الستة إلا أبا داود.

وعن هاني مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان – رضى الله عنه – إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ؟! قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) أخرجه الترمذي عن أنس – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : (إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم و إذا انصرفوا أتاه ملكان. فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل مُحَّد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً، ويفتح الله له من قبره إليه.

وأما الكافر والمنافق فيقول : لا أدري كنت أقول كما تقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه إلا الثقلين) أخرجه الخمسة إلا الترمذي.

وعنه – رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله) أخرجه الشيخان والترمذي.

الباب الثاني

البعث وكيفيته
تقريب للعقول

العقول تستمد معلوماتها من الحواس والحواس لا تدرك ما وراء الجدار فكيف تدرك الغيب المصون ؟. ولكن العلماء الربانيين قربوا الحقائق للعقول بالأمثلة المحسوسة – الإنسان فى بطن أمه بعد أن نفخت فيه الروح وصار يحس ويتحرك لو وهبت له قوة الإدراك، وأخبر عن الدنيا وأحوالها هل كان يصدق بما فى الدنيا من أرض وسماء وهواء وبحار وأفلاك وحروب وخصومات ؟ الجواب : لا يصدق لأنه يرى من المستحيل وجود مكان غير ما هو فيه، ولكن إنكاره لتلك الحقائق لا يجعلها مفقودة وتسليمه بها لا يجعله يستحضرها إلا إذا تمثلها فكذلك الإنسان الواقف عند الحكم على الأشياء بحواسه لا يصدق بأن هناك داراً أخرى، وإن صدق بها من غير تصويرها لا يراقبها ولا يتذكرها

أذن فعذر المنكرين للآخرة سببه الجهل أو إهمالهم فى تحصيل العلم من العالم الذي يمكنه أن يبين تلك الحقيقة بأمثلة تقبلها العقول، وقد شهدنا دارين الدار التى كنا فيها فى بطن أمهاتنا، والدار التى نحن فيها الآن ولكل دار أحكام تقتضيها، فما الذي يمنعنا من أن نفوز بالخير الذي لا نجاة إلا به، وهو التصديق بيوم القيامة، والسعي لتلقى العلوم النافعة، لنتصورها فنكون مؤمنين علماء وبذلك نسعد فى الدنيا والآخرة ؛ فإن جهل يوم القيامة سبب فى المفاسد وخراب العالم، وكيف لا ؟ وتلك الحروب الطاحنة والخصومات القائمة والرذائل المنتشرة سببها نسيان يوم القيامة، ورجل يؤمن بيوم القيامة مجرد إيمان يستحيل عليه أن يميل إلى مفسدة أو رذيلة أو قبيح عمل فكيف إذا حصل العلم بها فصارت معالم بين عينيه وصورة منقوشة على جوهر نفسه.

اللهم لا تنسنا ذكرك ولا تنسنا يوم لقائك لنحيا أحراراً فى أوطاننا عاملين لديننا ودنيانا فائزين بالسعادة يوم لقائك إنك مجيب الدعاء.

وجـــوب اعتقـــاد الإعـــادة

يجب أن نعتقد أن إعادة الجسم بعد الإعدام بجميع أجزائه الأصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت، قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) (1) وقال سبحانه : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)(2) وآيات كثيرة وردت فى الإعادة وهى حجة أهل الأيمان القوى ولكنا نسير مع العقل فنقول.

إن السموات والأرض أنشأها الله تعالى لحكمة إيجاد الإنسان لأنه سخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه، وصرفه فى كل كائن، فالكائنات كلها لنفع الإنسان – من الأفلاك والأملاك والهواء والماء والأرض والمعادن وحكمة إيجاد الإنسان أن يكون عبداً لله عابدا قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)(3) وأن يكون كل إنسان خليفة عن ربه فيما استرعاه من أهل وولد ومال وأتباع.

وكل إنسان خليفة بقدره، وإنا لنرى رجالا أنفقوا أنفاسهم وأموالهم وأنفسهم فى العمل لله وعاشوا فى عناء وبلاء لم ينلهم من ثمرات أعمالهم نيلا، ونرى آخرين بذلوا أنفاسهم وأموالهم وأنفسهم فى معصية الله وضرر عباده والإفساد فى الأرض، ولم يصبهم بلاء ولا شدة، ومقتضى العدل أن يجازى المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة ؛ لذلك يجب أن يكون هناك دار أخرى يجازى فيها كل عامل بعمله، وإلا فهذا الإنسان الذي تحمل فادح الشدائد وعظيم البلايا لخير بنى الإنسان – من الأنبياء والعلماء الربانيين – إذا مات ولم تكن ثم دار أخرى كان ذلك ظلما – وتنزه ربنا وتعالى عن الظلم – وذاك الإنسان الذي جحد ربه وحارب أنبياءه وآذى أولياءه وأضر عباده بسفك

(1) سورة الروم آية 27

(2) سورة الأعراف آية 29

(3) سورة الذاريات آية 56

الدماء وخراب البلاد وظلم العباد، إذا مات ولم يعاقب على عمله كان ذلك من الجهل والحماقة – وتنزه ربنا وتعالى عن كل نقيصة – فلزم أن يحكم العقل بحقيقة يوم القيامة لينال العامل بالإخلاص – من المسرات والملذات الروحانية الجسمانية، والبقاء فى جوار الأطهار، والأنس بمجانسة من الأخيار مع النبيين والصديقين والشهداء – ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وكذلك ليلاقى ذلك الظالم الطاغي من شديد الآلام فى نار العذاب أشد مما كان يعذب به عباد الله فى الدنيا، بصواعق المقذوفات وأليم السجون، جزاءاً وفاقا.

البعـــث بالروح والجســـــــد

قال الله تعالى : (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ) (1) وقال تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ) (2) وقال سبحانه : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) (3) وكلنا نعلم أن الأرواح لا تأكل ولا تشرب ولا تتزوج وتلك الآيات حجة على منكري البعث وعلى من أنكر بعث الأجساد ونحن لا نتكلم عن منكرى البعث لأنهم ليسوا أهلا أن نخاطبهم قال تعالى : (إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (4).

ولكنا نخاطب من أثبت بعث الأرواح دون الأجساد ونعلم أن الذي حدا بهم إلى هذا الحكم وقوفهم عند الحواس ولأنهم يقولون إذا أكل إنسان إنسانا بحيث صار المأكول جزءا من الآكل فإذا أعاد الله تعالى ذينك الإنسانين بعينهما فتلك الأجزاء التى كانت للمأكول ثم صارت للآكل، إما أن تعاد فى كل واحد منهما وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه فى آن واحد فى شخصين متباينين، أو يعاد فى أحدهما وحده، فلا يكون الآخر معادا بعينه والمقرر خلافه. وهذا مذهب الفلاسفة.
وقد تسرب هذا المذهب إلى بعض من لم تزك نفوسهم تزكية تجعل النفس تسوح سياحة ملكوتية فتقتبس من مجانسها عالم الطهر أسرار الجنة وما فيها من نعيم الجسم ومسراته وبهجة النفوس وملاذها، وما فى النار من عذاب يذيب الأشباح وحجاب يحزن الأرواح، حتى ترجع إلى هذا الجسم فتمثل له ما هناك تمثيلا يجعله يطيعها فيما تطلبه منه.

---

(1) سورة العاديات آية 9

(2) سورة الحاقة آية 24

(3) سورة الإنسان آية 19

(4) سورة الفرقان آية 44

والحقيقة : أن الجسم يعاد كما كان فى تلك الدار الدنيا، وإلى العقل بيان كل نوع من الأنواع تتسلط عليه المؤثرات الكونية كالذهب بالنسبة للمعادن فإن النار وغيرها من المؤثرات لا تنقصه شيئاً ولا تغير من كماله الذي بلغه فلو ألقي فى الأرض السبخة أعواما ما تغير، بخلاف بقية المعادن فإنها تتنوع إلى غيرها فتكون ترابا، أو ينقلب النحاس إلى توتيا خضراء، فكذلك الإنسان هو أكمل الأنواع الموجودة، ولكماله النوعي لا تؤثر عليه المؤثرات الكونية، فلا يتغذى النبات بشيء من حقائقه الأصلية ولا تهضمه تلك الحقائق فى معدة حيوان، فلو اندثرت المقابر وصارت أرضها مزرعة، تتغذى النباتات بالفضلات الزائدة على الحقائق، وتحفظ أجزاء الحقائق فى الأرض كما تحفظ أجزاء الذهب.

وإذا أكل الإنسان أو الحيوان إنساناً فأن الذي يتغذى به هو المواد الغريبة والفضلات الزائدة على الحقائق، وتلك المواد الغريبة والفضلات الزائدة ليست هى الإنسان، وإنما هى لتعويض ما فقد منها بالعمل حفظاً للحقيقة الإنسانية.

إذن فكل الحقائق التى هى العظام والأوردة والشرايين والأعضاء الرئيسة كالقلب والرئتين والكبد والطحال والكليتين والمعدة والمعي وحقيقة العينين والأذنين واللسان وغيرها مما يكون به الهيكل الإنساني هيكلا مجرداً عن الحياة لا سلطان عليه للأرض ولا لما عليها – وسأبين كيفية الإعادة فى موضعها إن شاء الله تعالى.

إذا تقرر ذلك فالجسم يعاد يوم القيامة كما كان فى الدنيا مع روحه، والقول بأن الروح هى التى تعاد باطل، وإن فهم ذلك بعض من لم يعقل عن الله ولا عن رسوله من النصارى الذين يظنون أن سيدنا عيسى يقول بإعادة الأرواح، فإن هؤلاء القوم ما فهموا شيئاً من كلام سيدنا عيسى عليه السلام ومن أنكر البعث وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة أرتد عن الإسلام ومن أنكر بعث الأشباح، جهل صريح الدين.

قال سيدنا على عليه السلام : (فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات قبلكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم... ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب. ولقد بُصرتم إن أبصرتم وأُسمعتم إن سمعتم وهديتم إن اهتديتم، بحق أقول لكم : لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر، فإن الغاية أمامكم وإن وراءكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما تنتظر بأولكم آخركم) وقال عليه السلام يخاطب أهل القبور : يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لا حق، أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم – ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم فى الكلام لأ خبروكم أن خير الزاد التقوى).

كيفيــــة البعــث

أبين تلك الحقيقة بالنقل الذي قبله العقل السليم من الهوى والحظ... وهنا أشرح لإخوتي المؤمنين كيفية النشأة الأولى بما ورد.

قال أمير المؤمنين على عليه السلام فى كيفية خلق آدم بعد حديث طويل فى وصف خلق السموات والأرض.

(ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة، سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة لزبت، فجعل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استحكمت، وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود وأمد معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها وأدوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة – من الحر والبرد والبلة والجمود – واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد بوصيته إليهم فى الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرمته.

وقال كرم الله وجهه فى صفة خلق بنى الإنسان : (أم هذا الذي أنشأه فى ظلمات الأرحام وشغف الأستار نطفة دهاقاً وعلقة محاقاً وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً ليفهم معتبراً ويقصر مزدجراً، حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله، نفر مستكبراً وخبط سادراً مائحاً فى غرب هواه كادحاً سعياً لدنياه فى لذات طربه... إلى أن قال بعد أن وصف مداهمة المنية للإنسان وهو فى غفلته : ثم أدرج فى أكفانه مبلساً، وجذب منقاداً سلساً ثم ألقى على الأعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الإخوان إلى دار غربته ومنقطع زورته، حتى إذا انصرف المشيع ورجع المتفجع، أقعد فى حفرته نجياً لبهتة السؤال وعثرة الامتحان.

رجوع إلى بيان كيفية البعث بالوارد:

تقدم ذكر بعض الآيات الدالة على البعث وشرحها وهنا نورد بقية الآيات الواردة فى البعث. والأحاديث وكلام أئمة الهدي.

قـال الله تعـالى : (وَنُفِـخَ فِي الصُّـورِ فَجَمَعْنَـاهُمْ جَمْعـاً) (1) وقـال سـبحانه : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (2) وقال تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ) (3) وقال جل وعلا : (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) (4) وقـال ﷻ : (وَنُفِـخَ فِي الصُّـورِ فَـإِذَا هُـم مِّنَ الأَجْـدَاثِ إِلَى رَبِّهِـمْ يَنسِـلُونَ) (5) وقـال سبحانه : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَـاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) (6) وقال تقدست ذاته (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) (7) وقـال سبحانه (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) (8) وقـال جلـت قدرتـه : (يَـوْمَ يُـنْفَخُ فِي الصُّـورِ فَتَـأْتُونَ أَفْوَاجـاً وَفُتِحَـتِ السَّـمَاءُ

(1) سورة الكهف آية 99

(2) سورة المؤمنون آية 99- 100

(3) سورة المؤمنون آية 101

(4) سورة النمل آية 87

(5) سورة يس آية 51

(6) سورة الزمر آية 68- 69

(7) سورة ق آية 20- 22

(8) سورة القيامة آية 3-4

فَكَانَتْ أَبْوَاباً   وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلطَّاغِينَ مَآباً لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً) (1)

وهنا نكتب الآية التى بينت كيفية النشأة الأولى وأتصل بها بيان النشأة الأخرى قال سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ..) (2).

هذه هى الآيات الشريفة التى وردت فى الصور وما يتعلق به وهىخبر من الله تعالى لأهل الإيمان الذين يعقلون عن الله تعالى آياته ويفقهون كلامه بما جعله سبحانه لهم من النور : (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ....) (3) وهى أيضا حجة قاصمة ظهور أهل العناد الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم وقفل قلوبهم فحرموا التسليم والذوق، و فى كل آية من تلك الآيات أسرار غامضة وإشارات عالية ألاح الله أنوارها لأهل البصائر من المؤمنين، وأشهد حقائقها أهل القلوب من المحسنين، وهى عيان لأهل اليقين قال سبحانه : (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ) (4)

ومجمل ما بينته تلك الآيات الشريفة : أن الصور محيط بالسموات والأرض وأن النفخ فيه ثلاث مرات :

---

(1) سورة النبأ آية 18-24

(2) سورة المؤمنون آية 12 - 16

(3) سورة النور آية 40

(4) سورة التكاثر آية 5 -6

1 -نفخة الفزع : وهي قبل يوم القيامة بها فزع العالم أجمع إلا من شاء الله ممن سبقت لهم منه سبحانه الحسني وهذا الصور الذي تنفخ فيه هذه النفخة.

2 - ونفخة الصعق، ونفخة القيامة : هو القرن الذي جعل الله فيه لكل روح من أرواح الإنس والجن مكاناً.

والصور محيط بالسموات والأرض -كما قررنا - فأسفله سجن أرواح الكافرين والمنافقين، ووسطه مكان أرواح عامة المسلمين، وأعلاه روضة أرواح الأبرار والمقربين،

3 - ونفخة القيام هي الثالثة وقبل أن تصل الأرواح إلى هذا الصور تتمنى الرجوع عند الموت بدليل قوله تعالى : (رَبِّ ارْجِعُونِ) (1) فيحول بينه وبين ما يشتهي، ولا يقول هذه الكلمة إلا من سبق عليهم القضاء بسوء الخاتمة أعاذنا الله وإخواتنا المؤمنين، وأما أهل الإيمان فإنهم عند الموت تتوالى عليهم البشرى من الله تعالى قال سبحانه : (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (2)

وتقرر أن النفخة الثالثة تجعل كل إنسان مشغولاً بنفسه فزعاً من شدة الهول أذهب الفزع كل عاطفة لوالد أو ولد قال سبحانه : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ) (3) وألجمت الحيرة الألسنة فلا يتساءلون، وأهل الإيمان بالله فى روح وريحان وأنس فى نعيم الجنان قال تعالى : (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المِلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (4).

أما النفخة الأولى فهي فى صور الخلق وهى نفخة الفزع إذا ظهرت أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها ومن الخسف والمسخ والصواعق والزوابع ويقوي

---

(1) سورة المؤمنون آية 99

(2) سورة يونس آية 64

(3) سورة المؤمنون آية 101

(4) سورة فصلت آية 30

هذا الفزع حتى يموت من فى السموات ومن فى الأرض إلا الشهداء فأنهم لا يحصل لهم هذا الفزع بل يمر عليهم نسيم عليل بليل فيموتون مشتاقون إلى رضاء ربهم سبحانه وهم الذين استثناهم الله بقوله: (إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ) (1) وقوله: (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) (2) أي أنتقلوا من الدنيا أذلاء مرغمين مقهورين، لأن تلك النفخة هي الأولى وهي نفخة الفزع التى بعدها نفخة الصعق وبعدهما نفخة القيامة

وصور النفخة : الأولى هو هياكل الناس ؛ لأن كل واحد صور محيط بحقائق لا تحصى، فالهيكل الإنساني مجمع لكل أنواع الحقائق ففيه نفخة القدس، وفيه مادة أسفل السافلين، وفيه ما بين ذلك من كل الأنواع فالإنسان كون صغير والكون كله إنسان كبير

وقوله سبحانه : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ)(3) الأجداث بالثاء جمع جدث – وقد تبدل الثاء فاء فى لغة فيقال الأجداف وهى القبور – وهذه هى النفخة الثالثة بعد نفخة الصعقة وبعد ما بينت لك من رج الأرض رجاً ودكها دكاً ونسف الجبال نسفاً حتى تكون هباء منبثا، وبعد إنزال الأمطار من السماء – التى هى كمنى الرجال – أربعين سنة وبتلك الأهوال العظام تتكون الهياكل الإنسانية من ذرات الأرض.

فإذا نفخت تلك النفخة فى الصور خرجت الأرواح كالجراد المنتشر فاتصلت كل روح بجسمها الذي كان بيتا لها، وقام الناس ينسلون أي : يسارعون.

فالمقربون يسارعون على رفارف الأنوار إلى حظيرة الرضوان.

والأبرار يسارعون على النجب إلى الفردوس وغيرها.

---

(1) سورة النمل آية 87

(2) سورة النمل آية 87

(3) سورة يس آية 51

وعامة المؤمنين ممن خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً يحاسبون حساباً يسيرا.

والمتساهلون بالدين من أهل الإسلام يقفون للحساب والأمر هناك مفوض لله العلي العظيم.

وأهل الكفر بالله يزج بهم فى النار بغير حساب وكلهم يسارعون.

وقوله سبحانه : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ) (1) هذه هي النفخة الثانية : وهى التى تفقد فيها الأرواح الحياة الروحانية حتى لا يبقى ملك مقرب إلا ويفقد تلك الحياة – وهى الصعقة – إلا من اصطفاهم الله فأقامهم فى مقام محبته لهم، وبعد تلك النفخة يقول ربنا ﷻ : (لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ) (2) ثلاث مرات فلا يجيبه أحد لفناءمن كانوا يدعون ملك الأشياء ويغترون بما لديهم وينازعون الربوبية فى الملك فيجيب نفسه بنفسه سبحانه قائلا : (لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ)(3)

أما قوله تعالى : (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى) (4) فبعد تلك الصعقة وتنفيذ ما قدره ﷻ من إعادة الإسلام بما أراده فى النشأة الثانية تنفخ النفخة الثالثة، وبها إعادة الحياة الروحانية للأرواح فتقوم حية ناظرة.

والمنظور إليه يختلف بقدر المقامات :

فأهل الاصطفا : ينظرون إلى وجه الله العلي.

وأهل الاجتبا : ينظرون إلى ما أعده لهم سبحانه من النعيم والمسرات.

والسالكون ينظرون إلى واسع الرحمة وعميم العفو.

---

(1) سورة الزمر آية 68

(2) سورة غافر آية 16

(3) سورة غافر آية 16

(4) سورة الزمر آية 68

والمتهاونون بأحكام الله : ينظرون إلى هول ذلك اليوم وشدته ويشتد هو لهم وفزعهم مما أراهم سبحانه من قرب الشمس من رءوسهم، ورمي جهنم بشرر كالقصر وما يصيبهم من خزنة جهنم حتى يصلوا إلى الموقف حيث الصراط والميزان وحيث يكون القاضي هو الله والشاهد رسله عليهم الصلاة والسلام، وحيث تشهد عليهم جلودهم وجوارحهم وأمرهم مفوض إلى الله العلي الكبير.

وأما أهل الكفر بالله : فيساقون إلى جهنم منهم من يهوي فيها برأسه ومنهم من يزج فيها ومنهم ومنهم. أعاذنا الله بوجهه الكريم.

فما تبين لك تفهم معني إشراق الأرض بنور ربها، وذلك هو تجلي ربنا سبحانه حتى يرى كل مخلوق جماله وجلاله، فلا يبقى فى هذا الموقف أحد إلا ويكمل إيمانه ويتحقق باليقين الحق، ولكن لا ينفع أهل الكفر إيمانهم فى هذا الوقت قال تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ) (1) وقد بينت لك أن أهل هذا الموقف يتفاوتون فالسابقون الذين سبقت لهم الحسني منه سبحانه يحملون على رفاف العناية إلى منازلهم بحسب مقاماتهم إلى مقعد صدق أو الفردوس، ومنهم من يرفعهم الله فيجلسهم قدام عرشه على منابر من نور والمتقون من الأبرار يحشرون وفدا إلى الرحمن سبحانه فينزلهم فى دار كرامته سبحانه – دار السلام أو جنة النعيم أو جنة المأوى أو جنة الرضوان – قال تعالى : (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) (2) والعصاة من الأمم يوقفون فى المحشر قال تعالى : (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) (3)

(1) سورة السجدة آية 11

(2) سورة الانفطار آية 13

(3) سورة الصفات آية 24

وقال تعالى : (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) (1) وأهل الكفر بالله تعالى يساقون إلى نار جهنم قال تعالى :(وَنَسُوقُ المجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً) (2). وقال تعالى : (فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً) (3).

أو لا :أدلـــة كيفيـــة البعـــث مـــن النقـــل

قال سبحانه وتعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) (4) بدأه سبحانه وتعالى على غير مثال سبق بإمناء فى الرحم وحمل ووضع ورضاع ويعيده سبحانه كما كان فى الدنيا كاملاً بقدرة وحكمة وأسباب مرتبطة تغاير النشأة الأولى –كما بينا– فلا يحتاج لإمناء وحمل ووضع ورضاع كما خلق آدم عليه السلام وإنا لنرى النواة الصغيرة يخلق الله منها نخلة تفتق الأجواء بطولها، فأين كانت تلك النخلة ؟! أكانت فى النواة أم كانت فى الأرض والأجواء والسماء ؟! أن لم تذق طهور الآيات فى الكائنات فسلم، ومن حرم الذوق والتسليم فليمت على أى دين شاء، فإن الله غنى عن العالمين.

وقال سبحانه : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) (5) أثبت بهذه الآية الإعادة بعجائب القدرة وغرائب الحكمة بحالة جديدة تغاير من كل وجه أحوال النشأة الأولى، لينبلج للعقول وللأرواح ما يعجزهما من إدراك تصريف القدرة.

---

(1) سورة الكهف آية 49

(2) سورة مريم آية 86

(3) سورة الكهف آية 105

(4) سورة الروم آية 27

(5) سورة الأعراف آية 29

فالنشأة الأولى علمناها كما قال سبحانه : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى....) (1) ثم قال سبحانه : (وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (2) أي من كيفية الإنشاء والمكان والزمان والحال والشأن، فسبحان من لا يعجزه شئ فالآية لإثبات الإعادة فقط لا لبيان أن النشأة الأخرى تطابق النشأة الأولى من كل وجه لعجز العقل عن التسليم بها.

وكيف يتصور العقل أن كل فرد لا يوجد إلا بوجود أسباب إيجاده الأولى من إمناء وحمل ووضع ورضاع ! ولكن الله ﷻ أراد أن يبين لنا أن النشأة الأخرى والدار الآخرة تغاير كل المغايرة النشأة الأولى والدار الدنيا ليقف العقل حائراً فى آثار القدرة وآيات الحكمة ويقول بلسان اليقين (سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته) فالنشأة الأولى حق، والنشأة الأخرى حق ولكنهما مختلفتان لو سعة القدرة وإحاطة الحكمة وما على العقل الكامل إلا أن يقول : (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) بعد أن قامت الحجة ووضحت المحجة قال سبحانه : (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (3)

وقال تعالى : (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ) (4) أخبرنا سبحانه أن ما فى القبور يبعثر – والبعثرة معلومة – وتقدم أن السماء تمطر منياً كمنى الرجال أربعين سنة فيذوب هذا المبعثر، وتتجاذب أجزاء كل هيكل برج الأرض ودكها بعواصف الرياح – كما تقدم – ولا تكون تلك البعثرة إلا لإعادة الأجسام كما كانت، وتنزه ربنا أن يعمل عملا عبثاً، وما تتجمل به الأشباح فى دار النعيم من النضرة والجمال والبسطة فى الجسم،

---

(1) سورة الواقعة آية 62

(2) سورة الواقعة آية 61

(3) سورة النور آية 40

(4) سورة العاديات آية 9

فذلك من أنواع النعيم الذي يتفضل الله به على أحبابه، وما يحصل للأجساد فى النار من الضخامة والغلظ فذلك من كمال العدل حتى تنال الأجساد قسطها من الجزاء. وقال تعالى : (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) (1) إنما يثقل على الأجسام مالم يكن منها فالجسم لا يثقل على نفسه ولكن يثقل عليه ما حمله والأرض لم تحمل غريباً عنها إلا الإنسان والحيوان وأن كان منها إلا أنه نوع آخر بعد تطوره فهو الثقيل عليها. والمعنى أن الله تعالى يخرج الموتى أحياء كما كانوا بالبيان الذي بيناه لك قبل وأنت تعلم أنه سبحانه قال : (وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (2) بعد قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى) (3) فعلمنا النشأة الأولى أنها بالحمل والوضع والرضاع، وأخفى عنا علم النشأة الأخرى، ولكن أهل المحبة تنكشف لهم تلك الحقائق وقد بينت لك كيفية رج الأرض رجاً وبث الجبال بثاً وصيرورتها هباء منبثاً بعد إنزال الأمطار من السماء التى كمني الرجال، واعتقام الرياح لجهات الأرض الأربع حتى تتبدل الأرض غير الأرض كما قال الله تعالى : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) (4) وقد فسر العلماء هذه الآية بأن الأرض تكون فضة بيضاء. والمعنى – والله أعلم : أن الأرض التى تنجست بمعاصي الخلق وذنوبهم تبدل بأرض طاهرة لم يعص الله عليها ومعنى أنها من فضة : نقاؤها من نجاسات المعصية، ومن أن يعصي الله عليها، إذ ليس لمن يقوم من القبر حيا معصية ؛ لأن شأن البعث والنشر أعظم شاغل عن النزوع إلى داوعي المعصية

(1) سورة الزلزلة آية 9

(2) سورة الواقعة آية 61

(3) سورة الواقعة آية 62

(4) سورة إبراهيم آية 48

والناس فى هذا الوقت أربعة أقسام : 1- قسم يخرجون من القبور لهم أجنحة يطيرون بها إلى مسرات الحياة الثانية. ومنهم من يركب النجب النورانية. ومنهم من تؤمهم الملائكة إلى الفردوس. وهؤلاء لا يمرون على الصراط ولا يرون الميزان ولا يحزنهم الفزع الأكبر قال سبحانه وتعالى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)(1) وهؤلاء المقربون والأبرار وأهل اليمين وردوا النار فى الدنيا وساروا على الصراط فيها، والنار التى وردوها هى مجاهدة أنفسهم فى ذات الله، والصراط الذي اجتازوه هو السير على شريعة النبي ﷺ بكمال اتباعه، والحساب الذي أنجاهم الله منه وهو مراقبه الله تعالى فى كل عمل قال الله تعالى فى الحديث القدسي : (لا وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا أجمع له أبداً خوفين فإن هو خافني فى الدنيا أمنني يوم أجمع فيه عبادي عندي فى حظيرة القدس فيدوم له أمنه وإن هو أمنني فى الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه).

2 -الفرقة الثانية لا يقام لهم ميزان ولا ينصب لهم صراط وهم الذين قال الله عنهم : (فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً) (2) لأنهم كفروا بالله أو ماتوا على النفاق.

3 -الفرقة الثالثة والرابعة وهم الذين يحاسبون فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً كما قاله سبحانه : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً) (3) قال تعالى : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ

(1) سورة الأنبياء آية 101 -103

(2) سورة الكهف آية 105

(3) سورة الانشقاق آية 7- 9

سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (1) وهم الذين مدحهم الله بقوله : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (2) وهم عامة أهل اليمين.

والحقيقة أن العصمة لم تثبت إلا لرسول الله ﷺ والله تعالى أخبرنا أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين. أسأله أن يمنحنا دوام التوبة ويهب لنا قوة يطهرنا بها من كل خاطر أو وارد يحجبنا عنه سبحانه وتعالى. والتوبة : هى الرجوع من المعاصي إلى الطاعات، والتطهير : هو مجاهدة النفس لتزكو من فطرها ونزوعها إلى الغفلة والنسيان لتدوم لها المراقبة.

4 - والقسم الرابع : هم الذين يحاسبون حساباً شديداً قال تعالى : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرا) (3) فأخذ الكتاب من وراء ظهره إنما هو بشماله ؛ لأن يده اليمنى مغلولة فى عنقه، وشماله ملتوية وراء ظهره فيأخذ كتابه بشماله بدليل قوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ) (4)

---

(1) سورة التوبة آية 102

(2) سورة آل عمران آية 135

(3) سورة الانشقاق آية 10-15

(4) سورة القلم آية 26- 37

وأما قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً) (1) أي : ينادى بالويل والثبور لما حل به من الهلاك ومن اليأس من النجاة وقوله : (ويصلى سعيرا) أي : يهوي فى السعير وفى رواية يضم الياء، أي : تقذفه الملائكة فى السعير وقوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَى....) (2) هذا خبر من الله تعالى عما كان عليه المتساهلون بالدين من نسيان يوم القيامة والإقدام على نيل حظوظهم وشهواتهم والمسارعة إلى جمع المال من حل وحرام وحب الانتقام من عباد الله تعالى ومن ظلم الخلق والسرور باقتراف تلك الخطايا وعلمه أنه لا يبعث، إذ معنى قوله تعالى : (أنه ظن أنه لن يحور) أي ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى، ونسيان يوم القيامة موجب لأليم العذاب يوم القيامة بدليل قوله : (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) (3) فكيف بمن ظن أنه لن يرجع إلى الله تعالى ؟ هذا الظن موجب للخلود فى نار جهنم ؛ لأنه إنكار لشيء معلوم من الدين بالضرورة وذلك كفر. أعاذنا الله منه.أما قوله تعالى : (بلى) فتكذيب للظالم وردع له وزجر وإثبات لرجوعه إلى الله وانقلابه إلى يوم الحساب.

فتقرر أن الناس يوم القيامة منهم المقربون : وهم الذين أنجاهم الله وينجى بشفاعتهم يوم القيامة من شاء.

وخاصة الأبرار من أهل اليمين : وهم الذين أنجاهم الله تعالى.

وعامة أهل اليمين : وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً.

وأهل الكفر بالله : وهم الذين يسحبون على وجوههم فى النار من غير حساب.

---

(1) سورة الانشقاق آية 11

(2) سورة الانشقاق آية 13-15

(3) سورة الجاثية آية 34

وعامة أهل الإيمان : وهم الذين يحاسبون ويظهرون فى جهنم ويخرجهم الله تعالى بفضله ورحمته بعد نفاذ القضاء فيهم، فمنهم من يخرج بشفاعة الشافعين ؛ لأن الذين أقامهم الله شفعاء ينفعون عند ما تنفع الشفاعة ويشفعون فيمن تنفعهم الشفاعة بإلهام يجعله الله فى قلوبهم.

دلائـــل البعــث من السنة

(من أحاديث رسول الله ﷺ وكلام أئمة الهدي) عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واضعا سمعه ينتظر أن يؤمر فينفح فكان ذلك ثقل على أصحابه – رضى الله عنهم – فقالوا كيف نفعل أو كيف نقول ؟ قال : (قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله) وربما قال : (على الله توكلنا) أخرجه الترمذى.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : (ما بين النفختين أربعون) قيل أربعون يوماً قال أبو هريرة أبيت قيل أربعون شهرا قال أبو هريرة : أبيت قيل أربعون سنة. قال : أبيت (ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس شئ من الإنسان لا يبلى إلاعظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة) أخرجه الستة إلا الترمذى.

وعن كعب بن مالك – رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجرة الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) أخرجه مالك والنسائى. وعن أبي رزين العقيلى قال : (قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك ؟ قال : (أما مررت بوادي قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قلت نعم. قال : فتلك آية الله فى خلقه كذلك يحيى الله الموتى) أخرجه رزين.

ومن كلام سيدنا على كرم الله وجهه قال – رضى الله عنه – بعد حديث طويل بين فيه شيئاً من غوامض أسرار الدين يصف الموت وكيفية البعث، (سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً وجعلت فيه مأدبة مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهارا وزروعاً وثماراً ثم أرسلت داعياً يدعو إليها فلا الداعى أجابوا ولا فيما رغبت إليه رغبوا ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا أقبلوا على

جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا أغشى بصره وأمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة. وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون وقدموا من الآخرة ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا، فحيل بين أحدهم وبين منطقة وأنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره

ثم وصف حسرة الإنسان فى تلك اللحظة على ما ارتكبه ثم قال : فلم يزل الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر فى وجوههم ليرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطاً، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده فسار جيفة بين أهله وقد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً ثم حملوه إلى محط فى الأرض وأسلموه فيه إلى عمله وانقطعوا عن زورته حتى إذا بلغ الكتاب أجله والأمر مقاديره وألحق آخر الخلق بأوله وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه أماد السماء وفطرها وأرج الأرض وأرجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته وأخرج ما فيها فجددهم على أخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريد من مسألتهم عن خفاياً الأعمال وخبايا الأفعال وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء، وانتقم من هؤلاء فأما أهل طاعته فأثابهم بجواره وخلدهم فى داره حيث لا يظعن النزال ولا تتغير لهم الحال ولا تنوبهم الأفزاع ولا تنالهم الأسقام ولا تعرض لهم الأخطار ولا تشخصهم الأسفار وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار، وغل الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران

ومقطعات النيران فى عذاب قد اشتد حره وباب قد أطبق على أهله فى نار لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادي أسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى..

إعـــادة الأشبـــاح والأرواح حق ثابت

اقتضت إرادة الله تعالى أن يجعل الأسباب مرتبطاً بعضها ببعض، وهو القادر أن يقول للشيء كن فيكون، ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يظهر للعقول بما أبدعه من بدائع صنعته وما ألاحه سبحانه من عجائب حكمته وغرائب قدرته، فأظهر ما قدره أزلا متنقلا فى أطوار اقتضتها الحكمة لتقوم الحجة على العقول وتظهر المحجة للنفوس فلم يشأ سبحانه أن يعجز العقول ولا أن يحير الأرواح إلا فى جلاله وعظمته.

خلق السموات والأرض وما بينهما وما فوقهما فى ستة أيام، وخلق آدم من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه، لتعلم العقول أن القادر على هذا قادر أن يعيد الإنسان مرة أخرى كما بدأه، وليس وجه الشبه مطابقة الإعادة للبدء فى كل تلك الأطوار، فإن الحياة الثانية تعود بغير ما بدئت به من الأ سباب اللوازم، ووجه الشبه محصور فى معنى إعادة الحياة للإنسان مرة ثانية بكامل ما كان عليه فى الحياة الأولى بما يعلم كيفية ذلك إلا من علمهم الله تعالى، والعقل يحكم أن الذي خلق أنساناً من الطين وجعل نسله من سلالة من ماء مهين قادر على أن يعيده بما شاء وكيف شاء قال سبحانه : (وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (1) وقال تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)(2) وقال سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى)(3) بالمعاينة والذى أنشأنا النشأة الأولى هو الذي ينشئنا النشأة الأخرى، ونحن للآن نحكم بحقائق فينا بما نراه من أعمالها، ونجهلها كالعقل والنفس و بأشياء حولنا نحكم بوجودها حتما لأعمالها كإبليس والجن والكهرباء والضوء وغيرها.

---

(1) سورة الواقعة آية 61

(2) سورة الأعراف آية 29

(3) سورة الواقعة آية 62

بيـــــــــان
لمنكري إعادة الأشباح

الحمد لله كلنا صدقنا رسول الله ﷺ فيما جاءنا به من عند الله ﷻ إيماناً بالغيب، ولكن الله سبحانه تفضل فأسجد العقل لما بينه من الحجة القائمة على البعث والنعيم المقيم، وعلى الحساب والعفو، أو العذاب الأليم، بما أظهره للحس من أحياء الأرض بعد موتها، وإجراء الأنهار بعد جفافها، وإنزال الأمطار بعد إمساكها، ومن خلق أنواع الحيوانات الحية فى الماء الآسن والمواد المتعفنة من غير موجب تراه العيون أو تحكم به العقول، فسبحان من يقول للشيء كن فيكون.

كرر سبحانه فى كتابه العزيز آيات التمثيل مبيناً إحياءها بالماء كما قال سبحانه : (وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (1).

وقف أهل الإنكار من الجاحدين عند الحس، فظنوا أن النشأة الأخرى كالنشأة الأولى تقتضي وطأ وإمناءاً فى رحم وولادة، ورأوا ذلك مستحيلاً والله سبحانه وتعالى يقول : (وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (2) بل نسوا خلق آدم – عليه السلام – هنا يجب أن نعتقد أن العناية لها الحكم الذي لا ينقض قال سبحانه : (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُّرْشِداً) (3) فمن سبقت لهم الحسنى منحهم الله عقولا تعقل عنه، وقلوباً تطمئن بذكره، ونفوساً تسكن إليه ﷻ ومن سبقت لهم السوأي أخبرنا الله عنهم بما شنع به عليهم بقوله : (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

---

(1) سورة الحج آية 5- 6

(2) سورة الواقعة آية 61

(3) سورة الكهف آية 17

أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا...) (1) فمنحهم العطية وحرمهم خيرها، كما منح الله للمسلمين الملك العظيم باتباع الدين فأضاعوه بمخالفتهم إياه وحرموا نفعه، فتسلط عليهم الإفرنج، منحنا الله ما كان لسلفنا الصالح من التمكين فى الأرض بالمحافظة على أحكام الدين والغيرة له على أعدائه.

وزعم من منحهم الله موهبة العقول فلم يعقلوا بها عن الله واستعملوها فى عاجل حظهم أن تعلق الأرواح اللطيفة بالتراب الجلسي الغليظ الجافى مستبعد مستحيل للتنافر بينهما، وإن قدر ذلك فلا يتصور إلا بعد أن ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهي إلى التسوية، وقالوا لنا : أنكم تدعون أن الرفات والتراب يحيا بالروح ذلك رجع بعيد، وهؤلاء هم ومنكرو البعث سواء ؛ لأن منكري البعث حكموا على الله تعالى بما يحكمون به على أنفسهم - من العجز عن إيجاد شيء لم يكن، ومنكروا بعث الأشباح حكموا على الله بالعجز عن إعادة الأشباح، وكفى بذلك كفراً ؛ لأنه إنكار لقدرة الله وشك فى خبره سبحانه وتعالى.

وكان الأولى إهمال الفئتين لولا الخوف على من لم يحصل الضروري من علوم الدين، فأقول لهم : ليست قدرة الله كقدرة الخلق، وقد أثبتنا أن الإنسان فيه روح، وأول إنسان مخلوق من التراب وليس له مثال سبق ولا مادة محفوظة فى كنوز الأرض، فالذي نفخ الروح فى هيكل مكون من تراب وماء وهواء نار ومازج بينها وأحكم تناسبها وربط بينها، والذي جعل الماء علقة ثم جعل العلقة مضغة فجعل المضغة عظاماً فكسا العظام لحما فنفخ فيه الروح ثم أخرجه خلقاً آخر قادر على أن يعيد الأجسام بما شاء وكيف شاء..

---

(1) سورة الأعراف آية 179

الفصل الثالث
القيامة والنجاة منها
الفتـــن قبـــل القيامـــة

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ويبيع أقـــوام ديـــنهم بعـــرض مـــن الـــدنيا) أخرجـــه الترمـــذى.

وقد أظلتنا سحب تلك الفتنة – حفظنا الله منها – وبادرتها الشح المطاع والهوى المتبع والإعجاب بالرأي حيث يكون الحكم لغير الله، فيحكم الشحيح على ماله بشحه ويحكم ذو الهوى بهواه، ويحكم ذو الرأي برأيه. أعاذنا الله من تلك الفتنة.. ثم تعم فتكون العادة سنة والسنة بدعة منكرة، ويدعى قوم محبة الله وهم كاذبون ؛ لأن المحبة عندهم هى الطمع فى أموال الناس، والشهرة الكاذبة من جهل نفسه جهل ربه ومن جهل ربه لن يحبه وإنما هى الأطماع ومتاع الدنيا القليل. حفظنا الله من تلك الأهوال المهلكة وقبضنا إليه غير مفتونين.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله) أخرجه أبو داود والترمذي.

وتلك الفتنة قد شهدناها بأعيننا ففي الهند رجل يسمى غلام أحد ادعى أنه المسيح، وفسر القرآن بهواه فجعل الإنكليز فى الهند هم أولو الأمر تجب طاعتهم وقام ابنه ومعه دعاة إلى هذا الفساد، وقد رأيته بمصر مع دعاته فتذكرت هذا الحديث الشريف. وقام رجل فى كردفان من أعمال السودان يدعى أنه عيسى بعد موت مُحَّد وأحمد السودانى الذى كان يدعى أنه المهدى المنتظر. ولكن الإنجليز فى السودان لما علموا أنه يبغض السودانيين فيهم باغتوه فأطفأ الله نار الفتنة طهر الله البلاد من سلطة الأعداء وفتن

الممرورين. وقد انتشرت تلك الفتن الآن علامة على قرب القيامة فعلى كل مسلم أن يتمسك بالدين ولو كان فى تمسكه ما لا قبل له به من المتاعب فى هذا الزمن المظلم.

4- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) أخرجه الشيخان وأبو داود.

يجب التسليم لهذا الحديث الشريف واعتقاد أن الشمس تطلع من مغربها ؛ لأن الذي أطلعها من مشرقها قادر على أن يطلعها من مغربها، وهى أكبر آية تدل على قرب الساعة، وأن علامة طلوع الشمس من مغربها قد غشى الناس فإن الشرق منبت رسل الله ومهبط وحيه و كعبة قصاد العلوم والفنون والصناعات لأهل الغرب وغيرهم، قد اندثرت منه تلك الآثار، وخفيت تلك الأنوار، وأصبح الغرب كعبة المغرورين ومبعث ظلمات الأ باطيل والمفاسد، انتشرت رذائله فصارت فضائل عند الشرقيين، وضلالاته فصارت هدى لديهم، وأصبح الشرق عالة على الغرب نسأل الله الحفظ من الفتن المضلة وأن يقبضنا إليه غير مفتونين.

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا فعلت أمتى خمس عشر ةخصلة حل بها البلاء، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال – إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات فى المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشرب الخمر، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفا أو مسخا وقذفا) أخرجه الترمذى.

هذا الحديث معجزة لرسول الله ﷺ فإن الحروب الطاحنة الآن لتقوية الدول لا لإعلاء كلمة الله، وصار أوصياء الأيتام والموثوق بهم من الأمة يعملون للإستئار بالأموال، وأصبح الأغنياء ينفق الرجل منهم عشرات الألوف فى السفر لأوربا وفى عمل الولائم

لأهل السلطة من الكفار وغيرهم، ويكره أن يخرج جزأ من أربعين من ماله للفقراء فرضه الله عليه، ويرى ذلك مغرماً، نسياناً ليوم القيامة والزكاة مطهرة للمال يدفع الله بها البلايا والمصائب والأمراض وشرور الخلق عن المزكى، وقد يدفع الغنى كثيراً من ماله فى الخصومات وفى علاج الأمراض وفى الفخر والرياء ويبخل بجزء من أربعين لله.

أما إطاعة الزوجات فقد صار دينا يدان به فقد أصبحت المرأة قوامة على الرجل تتصرف فى بيته وماله بل وفى نفسه كيف تشاء. فقد علمت أن المرأة تخرج إلى حوانيت التجار الإفرنج ويقف الإفرنجي فيلبسها النعلين بيده والأساور والأردية ويزرر على صدرها وبطنها الأزره بيده ويصلح الثوب بيده على جسمها وزوجها واقف معها ولايحس بحرارة الغيرة لعرضه وتخرج المرأة من بيتها إلى أماكن اللهو واللعب والرقص والتمثيل المخجل وتجلس مع رجل أخر تغازله ويغازلها على مرأى من زوجها، وقد يكون زوجها فى البيت وهى فى زيارة الملاهي، وبلغني أن المرأة تركب على عربة زوجها، وتخرج مع سائق العربة إلى حيث تحب من الخلوات والسائق لا يجهل أحد أخلاقه،

وكثيراً ما رأيت النساء متزينات بأجمل الزينة يترددن على أضرحة الأولياء مختلطات بالرجال والله تعالى يقول : (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) (1) الآية.

.. وكم من مطيع زوجته وعاق لأمه فترى الرجل يبذل ماله على زوجته وأقاربه وهو يسئ أمه ويهجرها ويبخل أن ينفق عليها إلا بقوة الحكومة والقضايا وأسوأ من هذا أنك ترى الرجل يبذل ماله ونفسه لأشكاله من الأصدقاء ويؤذي والده وقد

(1) سورة النور آية 31

انتشر هذا البلاء فى هذا العصر، فترى المحاكم مفعمة بالأقارب. أما رفع الصوت فى المساجد فقد تحقق الآن.

وليس المراد فى الحديث من رفع الأصوات فى المساجد رفعها بالعلم أو الوعظ أو ذكر الله، فإن ذلك كان فى عصر النبي ﷺ فقد كان يدخل المسجد فيرى الصحابة حلقة تذكر الله، وأخرى ترتل القرآن، وأخرى تتفقه فى الدين، فكان عليه الصلاة والسلام يجلس مع المتعلمين ويقول : إنما بعثت معلماً- وكان ﷺ يرفع صوته فى الخطبة وحتى كأنه ينذر جيشاً، وكان حسان بن ثابت وغيره يرفعون أصواتهم بمدحه ﷺ فى المسجد إنما مراده عليه الصلاة والسلام برفع الصوت فى المسجد – الذي هو من أشراط الساعة – رفع الصوت بالجدل والمنازعات، وقد شنع الله على أهل الجدل قال سبحانه : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (1) ورفع الأصوات فى المساجد بالعلوم التى ابتدعها الخلف مما لم يكن فى عهد السلف من الاختلاف فى التفسير ودلائل التوحيد، مثال ذلك قولهم الوجود عين الموجود أو غير الموجود والوحدة والكم وحصر دلائل التوحيد فى علم الميزان (المنطق) والحكم فى المقلد فى التوحيد بالفكر، مما لم يرد فى كتاب ولا فى سنة والله تعالى يقول : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ....) (2) الآية.

فرفع الصوت فى المساجد بهذه البدع من علامة الساعة تداركنا الله بخفى لطفه، ومنح العلماء الخشية من الله ليكونوا مسارعين للعمل بمحاب الله ومراضيه سبحانه.

---

(1) سورة الزخرف آية 58

(2) سورة البقرة آية 3

أما قوله ﷺ : (وكان زعيم القوم أرذلهم) فمعنى الزعامة : السيادة يريد ﷺ أن يكون سيد القوم الذي يرجعون إلى رأية أرزلهم أي : أجرأهم على معصية الله وأبعدهم عن خشية الله من دناءته وخسته وإيثاره نفسه على من جعلوه سيداً وقد أصبحنا نرى أحوال الزعماء مع من سودوهم عليهم سيئة – نسأل الله السلامة والعافية من الفتن.

وقد كثر اليوم خوف الناس من أهل الشر الذين يسعون فى ضرر الناس خصوصاً لدى من لهم سلطة وكلمة نافذة وليس من أقاموا أنفسهم (شهود ملك) بمجهولين لدينا وقد تحققت بنفسى هذا البلاء، فإن بعض من يدعون أن بيدهم شهادات بالعلم هددوني حتى بلغوا عني السوء ونشروه على الجرائد السيارة بأني أخالف الحكومة وبلغ أحد العلماء الممنوح شرف هيئة كبار العلماء عني ما يغضب الله حتى أثار عليّ ثائرة من لا قبل لي بهم، ولم يكفهم هذا حتى اتهموني بما يغضب الله عليهم، وأشاعوا عني ما هو شر من الفاحشة وهو الكفر، وبلغوا عني الحكومة أني أنشر كتبا ضدها كل ذلك وهم يهددوني لأ ترك العمل للحق بالحق فكنت فى هذا الابتلاء أنتظر قيام الساعة فى كل نفس لوضوح علاماتها.

أما قوله عليه الصلاة والسلام : (وشرب الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف) يظهر – والله أعلم –أن مراده ﷺ بشرب الخمر أن يشرب علنا فى الحوانيت والبيوت، فإن الخمر كان يشرب قبل الإسلام وفى زمن الإسلام ولكن كان شاربه يختفي عن أحب الناس إليه ؛ لأن كل مسلم كان غيورا للحق لا تأخذه فى الله لومه لائم لا يرحم أباه ولا أخاه ولا ابنه إذا أغضبوا الله تعالى وكان المنافقون يشربونها فى خفية ولم يشربها مسلم مخلص أبدا. قال عليه الصلاة والسلام : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن و لا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن) الحديث

وقد جاهر المنافقون بشرب الخمر الآن لفقد من يقيم حدود الله تعالى، وقد تحقق الحديث، فأصبحت بيوت الخمر برخصة من الحكومة، وعليها حرس من جنود

الحكومة ليشرب الفاسق الخمر آمنا على نفسه من تعدى أهل التقوى عليه ؛ لأن جند الحكومة يحرسون حوانيت الخمر. لا تعجب إذا رأيت القوة التى كانت تحارب الرذائل والمنكرات وتدفع الأعداء عن الوطن العزيز تصبح معينة على ارتكاب ما حرم الله، فالجند الذي يحرس حانات الخمر وبيوت العهارة ومسارح اللهو والخلاعة هو الذي كان يحارب الرذائل والأعداء وهذا من علامات قرب الساعة.

أما الحرير فقد لبسه الرجال لا أقول عامة المسلمين بل أئمتهم من العلماء والفقهاء، ولو أن رجلا من السلف الصالح قام من قبره لحكم على النساء أنهن رجال وعلى الرجال أنهم نساء ؛ لأن السنة أن يلبس الرجل الثوب الذي يستره إلى نصف ساقه ونصف ساعده، والمرأة تلبس الثوب الذي يستر جميع جسمها ويجر على الأرض، وقد رخص الفقهاء للمرأة أن تصلى فى الثوب الذي يمر على الأرض ؛ لأن طول ثياب النساء ضروري – وهانحن اليوم نرى المرأة تلبس الثوب إلى ركبتيها وإلى ما فوق المرفقين، ونرى العلماء يلبسون الثوب يجر على الأرض ويزيد على أطراف الأصابع شبراً فأصبح لباس الرجال لباساً للنساء، ولباس النساء لباساً للرجال، وبذلك صار الرجال نساء همة وإرادة وصار النساء رجالاً إقداماً على القبائح والرذائل، فسلط الله عليهم من كانوا مماليك لديهم من الروم والخزر وغيرهم والله تعالى يقول : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (1).

أما القينات فهي التى تغنى وقد أصبحت كل امرأة فى بيتها قنية تضرب العود وتغني لزوارها من النساء والرجال أو تضرب المقصبه للصوت (الفونوغراف)

وقوله : (والمعازف) العزيف صوت الجن والمعازف آلات اللهو التى تستعمل فى مجلس الأغاني، وقد اتخذت الآن حتى أصبح الأغنياء يعلمون بناتهم تلك الملاهي بمعلمات من الإفرنج أو معلمين، واعتادوا أن يكون من الضروري وجود تلك الآلات مع البنت

(1) سورة الرعد آية 11

إذا تزوجت، وأنها لا تتزوج إلا إذا برعت فى استعمال تلك الآلات، وقد انتشرت تلك البلايا فى مملكة الأندلس فقامت قيامتها – نسأل الله السلامة والعافية – وأصبحت تلك المملكة الإسلامية أثراً بعد عين.

وهاهي تلك البلية انتشرت فى البلاد التى قلدت أوربا، فترى البيت الواحد يكون فى دور منه ميت، وفى الأدوار الأخرى المعازف والأغاني والطرب كأن بنى الإنسان انقلبوا وحوشاً ولم يبق إلا أن يأكل الإنسان أخاه كالوحوش سلمنا الله وإخوتنا من تلك الفتن.

وقوله ﷺ : (ولعن آخر هذه الأمة أولها) معجزة كبرى فإنك ترى اليوم العلماء بين الطلبة يحكمون بالكفر على من خالف رأيهم من أهل الإيمان فترى بعضهم يلعن المعتزلة، والآخر يلعن الشيعة أو الماتر يدية، وبعضهم يذم بعض الصحابة نظراً بعين الجهل – ومن جهل شيئاً عاداه – فتشبهوا بمن شنع الله عليهم بقوله : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) (1) والآية وإن كانت فى أهل الكفر بالله إلا أنها جرت بذيلها من تشبه بهم، والأمر المجمع عليه : هو توحيد الله تعالى، وتصديق رسوله ﷺ فيما جاءنا به عند الله تعالى، والقيام بالعبادات المفروضة من الصلاة والصيام والزكاة والحج وما عدا ذلك مما اختلف فيه السلف والخلف بحسب ما منحهم الله من قوة الإيمان وكمال ا ليقين فذلك لا يقضي على المسلم بالكفر إلا لجهل من حكم بالكفر على خيرة الأمة، وكم من جاهل خبيث النفس يلعن خيرة الصحابة كالرفض : الذين يلعنون الشيخشين وكالضلال الذين يلعنون رجالاً من الصحابة من بنى أمية، وقد انتشر هذا حتى كتب فى كتب العلم فترى فى كتب العلم (قبح الله المعتزلة) وما أشبه ذلك، فصدق رسول الله وحفظ الله ألسنتنا وقلوبنا مما يغضبه إنه مجيب الدعاء.

---

(1) سورة الأعراف آية 38

وبقية الحديث معلوم. والواجب علينا أن نجاهد أنفسنا حتى يحفظنا الله من تلك الخصال التى هى علامات قيام الساعة وأسباب غضب الله تعالى.

وقد انتشر ما هو شر من هذا : وهو أن النشء الذين تربوا فى مدارس الإفرنج قبل تحصيل مبادئ الدين صاروا حرباً على الدين، يلعنون آباءهم وأسلافهم وينشرون الجحود والإباحة بقوة تقليداً لمعلميهم وتعزيزا لسلطة الظلمة المستعبدين ليهدموا مجد آباءهم بأيديهم قال تعالى : (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) (1).

كل ذلك لجهل أسرار يوم القيامة أو نسيانها أو تناسيهم طمعاً فى العاجلة وقد عظمت الفتنة باشتغال علماء الدين بجلب محبة الوزراء والأمراء ورجال السلطة لينالوا السيادة والثراء فيبذل كل واحد منهم مواهبه فى خدمتهم وفى قطيعة أهل التقوى عنهم غير مراقبين الله ولا خائفين من كشف الستر يوم القيامة وكم أوقع أدعياء العلم العداوة بين الملوك وبين الأتقياء من العلماء بالله حتى سلطوا الملوك على أهل التقوى والإصلاح والصلاح فأنتقم الله من الملوك ومن الذين أعانوهم بأعدائه من المستعمرين قال الله تعالى : (وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) (2) وقد شنع الله على قومه بقوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً..) (3) إلخ الآية : وشنع الله تعالى على أحبار بنى إسرائيل فقال : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (4).

---

(1) سورة التوبة آية 32

(2) سورة هود آية 113

(3) سورة الجاثية آية 23

(4) سورة البقرة آية 146

فأثبت سبحانه أن العلماء بالدنيا أو الذين تعلموا علوم الدين لها يعلمون الحق ويكتمونه أو يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه وقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) (1) وهذه الآية وإن نزلت فى علماء بنى إسرائيل فهي يقظة لقلوبنا حتى نتباعد عن أمثالهم فينا ممن علمت ألسنتهم وجهلت قلوبهم.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من عليم اللسان جهول القلب الذي جعل العلم وسيلة لنيل تلك العاجلة فأهلك نفسه وأهلك العامة الذين يقتدون به وكيف لا وأنت ترى العالم يحلق لحيته ويجلس فى أماكن اللهو والخلاعة من الإباحيين ؛ فيجلس فى مجتمعات الخمر والسماع والرقص، ويتودد إلى من أثبت القرآن أن التودد إليهم كفر، وقد عم البلاء فاقتدى طلبة العلم بشيوخهم وسبقوهم إلى عمل ما يقربهم من أعداء الله، وأعداء رسول الله ﷺ، وأعداء أئمة الهدي القائمين بحجة الله فى كل زمان.

قررت لك من أنواع الفتن التى حدثت الآن مما لم يكن فى زمن السلف الصالح، وسببها تمكين أعداء الدين من المسلمين وقد تضمنت أحاديث الفتن أنواعاً كثيرة نراها الآن بأعيننا من فقد الأمانة وعدم الوفاء بالعهود وطلب الدنيا بمعصية الله جهراً فيتودد أدعياء النسب الشريف، والعلم والتقوى إلى بيوت الأعداء طمعاً فيما لا ينفع من الجاه والمنزلة ولو كان فى ذلك ما يغضب الله يؤذي المسلمين ولا تخلو تلك المجالس من الإقرار على ما أوجب الله علينا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ترى بعينيك وتسمع بأذنيك الثناء والمدح لأهل المعاصي والذم والتقبيح لأهل الصلاح وبينما تراهم مجتمعين على جاهه ونفوذه إذا بك تراهم انفضوا عنه إلى غيره ممن نال الجاه والمنصب ولو كان كافرا وياليتهم يراعون أدب الصحبة ولكنهم يقبحون ما كانوا يحسنونه منه تقرباً إلى ذي الجاه وكفى بذلك دلائل على قرب قيام الساعة.

(1) سورة التوبة آية 34

حفظنا الله وإخواتنا من تلك الفتن التى تحبط الأعمال وتسلب الإيمان. إنه مجيب الدعاء.

الإعـــادة ليـوم الجــزاء

أنكشفت حقيقة النشأة الأولى، فخلق الله إنساناً من غير نوعه وخلق حواء من رجل ولا أم لها، وخلق إنساناً من نوعه بالوطء والحمل والولادة، وخلق إنساناً من امرأة بدون وطء – وهو عيسى عليه السلام – وخلق انساناً من رجل وامرأة بلغا من السن مبلغ الياس من الحمل والولادة – وهو يحي عليه السلام – وأحيا الأرض بالماء بعد موتها، فالقادر أن يخلق هذه الأنواع قادر أن ينشئ النشأة الأخرى....

. إذا انتهت دورة الحياة الدنيا وظهرت أشراط الساعة – من طلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة، وكثرة الخسف والزلازل، وفقد الأمانة من القلوب، وإيثار الإنسان نفسه على والديه وأولاده، وسبق ذلك الهرج والمرج يعنى الحروب والقتل، وانتشار العهارة، وغيرها من الخمور والربا والميسر والمخدرات المهلكة للإنسان كالأفيون والبنج بأنواعه، وأصبح النساء قوامات على الرجال يزاحمن الرجال فى الأسواق، ويأمرن فيطيعهن الرجال، وابتلى العلماء بالحسد والتجارة بالخيانة، والنساء بالكيد، والحكام بالظلم، وأسند الأمر إلى غير أهله، وأصبح الشح مطاعاً والهوى متبعاً، وعمل بالرأى، وصار التقى مهاناً والفاجر معظماً، وأهملت حدود الله، وسلبت الغيرة على الدين والعرض والشرف – لديها تتوالى البلايا ويسلط الله أعداءه على من تعدوا حدوده، ويعم الظلم، لديها تمسك السماء أمطارها والأرض نباتها وتعم الفتن وتهجر المساجد.

فلا ترى راكعاً ولا ساجداً، فتحصل الأهوال العظام بالبلاد والعباد فتشغل الناس بالعناء والشدائد وكثرة الموت حتى لا يبقى على وجه الأرض إنسان، وينفخ إسرافيل فى الصور وهو محل الأرواح فتصعق الأرواح وتفقده الحياة الروحانية ولم يبق إلا الحي

القيوم، فيقول تنزه وتعالى : (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) (1) اظهاراً لعظمته وتفريده بالقوة والقدرة، ثم يجيب نفسه بنفسه : (الملك لله الواحد القهار) (2)

فإذا شأء سبحانه أن يعيد النشأة الأخرى أمر السماء أن تمطر ماء كمنى الرجال أربعين سنة حتى تذوب فتصير كالعجينة فيأمر سبحانه وتعالى أربع رباح عاصفة تعتقم الأرض من جهاتها الأربع فترجها رجا رجاً وتدكها دكا دكا، حتى تصير الجبال كثيباً مهيلاً، وتقوى صدمات الرياح فتجعل الجبال هباءا منثورا – وهى ما نعرف صلابة وقوة فكيف بالأرض

ويوجد سبحانه فى كل ذرة من ذرات الهيكل الإنساني قوة جاذبية تجمعها ببعضها لشدة رج الأرض ودكها، حتى إذ تكونت الأجساد وصارت الأمم أطواراً طبقة فوق طبقة، أسكن الرياح سبحانه وأعادها إلى مهابها، ثم أمر بالنفخة الثانية فتفيق الأرواح من صعقها وتهب كالجراد المنتشر كل روح تسارع إلى بيتها الذي سكنت فيه فى حياتها الدنيا – وهو جسمها – وهذه كيفية النشأة الأخرى وهى أشبه بالنشأة الأولى لآدم وليست كالنشأة الأولى لأبنائه تحتاج إلى أمناء وحمل ووضع ورضاع فإن لكل نشأة أسباباً وضعها سبحانه.

دواء هــذا المــرض العضــال

التصديق بيوم القيامة:

يلزم التصديق بيوم القيامة ودوام ذكراها ومراقبتها، والأمة إذا نسيت يوم القيامة استطابت الإباحة فسارع كل إنسان لخير نفسه من غير رحمة فى قلبه ففشت

---

(1) سورة غافر آية 16

(2) سورة غافر آية 16

أمهات البلايا وهى الحسد والطمع والحرص، ومن أنكر يوم الحساب أو نسيه سلبت منه العقيدة والمراقبة فكان و هو الكافر سواء

قال تعالى : (الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)(1).

ومتى تذكرنا يوم الحساب عملنا له وعملنا له يجعل لنا الخير فى الدنيا والآخرة فنقهر الباطل ونذل أعداءه. والله سبحانه وتعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

بلغت أوربا بما نالته من الإسلام من علم أن العالم مسخر للإنسان وأن الله جعل للإنسان العقل لينتفع به بكشف خواص المادة فاخترعت بالعقل ما يضرها ولا ينفعها فكيف إذا أظهر المسلمون لأوربا أسرار النفس وما لها من الخير العظيم عند الله إذا هي زكت بالعقيدة الحقة والعبادة الخالصة والمعاملة الحسنة والأخلاق الجميلة ؟!

بل وكيف بنا نحن المسلمون إذا زكينا نفوسنا وغذيناها بالحكمة والمجد حتى تتخلص من حجب كثائف المادة ولوازمها وتصفو من درن الشهوة ومقتضياتها، وتنفذ من اقطار السموات والأرض فتشرق على سواطع أنوار العزة والجبروت وتلحظ ما هنالك من صفاء وبهاء وجمال وجلال وضياء.

لعلك تقول : أنها تنال من الله تعالى ما به تتصرف في الملك والملكوت من إبداع بدائع صنع الله تعالى وسواطع أنوار عجائب القدرة ولوامع أسرار غرائب الحكمة مما به تكون متصلة بالله منعمة بالنظر إلى وجهه الكريم حاضرة معه آنسة على بساط قربه آمنة من حجاب الحظ والهوى. قال تعالى : (أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)(2).

سلم يا أخي ولا تنكر أن الذي أبدع هذا الكون على غير مثال ومن غير آلات وأدوات بل بكلمة منه ﷻ، قادر أن يعيده كما كان نشأة أخرى، وأن الذي جعل العقل يرى ما فى المادة من تلك الخواص العجيبة فينتفع بها قادر ﷻ أن

---

(1) سورة الجاثية آية 34

(2) سورة الأنعام آية 82

يكشف عنك حجاب النأي عنه، فتقع العين على العين من غير بين ولا ريب وهو هو ﷻ وأنت أنت، والذي جعل لك عينين ترى بهما ما حولك وجعل لك عقلا يرى ما حجب عنك من خواص تلك الكائنات به قادر ﷻ أن يجعل لك عينين ينعمك بهما برؤية وجهه الكريم.

واعلم يا أخي أن الجاهل عدو نفسه، فإنه ينكر الحق الجلي لعمي عيون قلبه، واستعذ بالله يا أخي من إنكار أخبار الله تعالى وأخبار رسله – صلوات الله وسلامه عليهم – وجاهد نفسك أن تكون من أهل التسليم واحذر أن تؤول أخبار الصفات فإن إبليس – أعاذنا الله منه أول بالقياس فعارض ربه بعد الأمر الصريح و قال : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وكان هذا القياس سبب لعنه وطرده – أعاذنا الله من هذا التأويل الذي تدعو إليه الشهوة والكبرياء والإعجاب بالرأي.

أخبرك ربك أنه يعيدك مرة أخرى، وضرب لك الأمثال بالأرض الميتة إذا أنزل عليها الماء أحياها رحمة منه سبحانه لتقبل منه وتقبل – عليه تقدس وتعالى – فاحفظ الأدب مع ربك ولا يخرجك الكبرياء عن السمع والطاعة ؛ فإنه سبحانه يقول : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)(1) يعني فى كل شيء – فى ذاته وفى أسمائه وصفاته وفى أفعاله وأخباره – ومن حرم التسليم حرم كل خير، وقد قدمت لك أن العلماء الراسخين فى العلم سلموا كل الأمور لله فقالوا : (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) (2)

لا تعجب ممن أنكروا البعث و الرؤية، لأن الله سبحانه شنع عليهم فقال تعالى : (إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)(3) وأعلم يا أخي أن الإنسان من حيث هو إنسان

(1) سورة الشورى آية 11

(2) سورة آل عمران آية 7

(3) سورة الفرقان آية 44

يستحق الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله بعنايته، ولو أن الإنسان من حيث هو إنسان يمكنه بحقيقته الإنسانية أن ينال هذا الحظ العظيم لما وجدت على الأرض كافرا بالله تعالى، والله تعالى يقول : (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)(1) ولكن الله تعالى يتفضل على من يشاء بما يجعله عبداً مسلماً لله مقبلاً عليه سبحانه فارا إليه ﷻ بدليل قوله تعالى : (أولئك كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)(2) وقال تعالى : (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(3)

فكتابة الإيمان فى قلوبنا وتأييدنا بروح منه سبحانه وتحبيبه الإيمان إلينا وتزيينه فى قلوبنا كل تلك الحقائق نعمة منه تعالى زائدة على الحقائق الإنسانية وعناية منه وتفضل بها على من يشاء من خلقه بها نيل السعادة العظمى وليست من فطرة الإنسان، إذ فطرة الإنسان النزوع إلى الشر، ومن وكله الله إلى نفسه – أعاذنا الله – كان شراً من الشيطان وأضر من الحيوان المفترس.

وأنت يا أخي ترى بعيني رأسك آثار أولياء الله، وآثار أعدائه، ولا فرق بين بني الإنسان من حيث طول القامة وعرض الأظفار وقبول الصناعات قال تعالى : (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ)(4)

وأحذر يا أخي أن تجلس مع من علمت ألسنتهم وجهلت قلوبهم فأنهم دعاة الشر وأبواب لجهنم، خصوصاً من زعموا أنهم حصلوا العلوم الدينية وهم لا يعلمون شيئاً، ومن أثبت لهم العلم أغضب الله تعالى، لأن الله تعالى يقول : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

(1) سورة سبأ آية 13

(2) سورة المجادلة آية 22

(3) سورة الحجرات آية 7

(4) سورة البقرة آية 105

عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)(1) وهم ينكرون الضروري من الدين ليقيموا الحجة على جهلهم بجهلهم.

فمنهم من ينكر بعث الأشباح. ومنهم من ينكر صفات المعاني ويؤول ما ورد فى القرآن والحديث من الآيات ومنهم من يتوسع فى مداراة للناس فيسارع فى أهل الكفر بالله ويتودد إليهم وينسى يوم القيامة فينكر عذاب القبر والميزان.

ومنهم من يتغالى حتى يخرج عن حدود الشريعة فيشطح شطح التئهين غير خائف من الله.

كل ذلك يا أخى من معجزات القرآن قال تعالى : (وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(2)

وقال سبحانه : (وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(3).

فنسيان يوم القيامة يا أخي موجب للخلود فى الحطمة، والخلود لا يكون إلا لأهل الكفر بالله، إذا كان نسيان يوم القيامة موجباً للخلود فى نار الجحيم فكيف يكون حال من ينكرها يوم القيامة ؟! أسأل الله أن يحفظنا من نسيان ذلك اليوم وأن يذكرنا إذا نسينا.

---

(1) سورة فاطر آية 28

(2) سورة هود آية 118 - 119

(3) سورة السجدة آية 13

رؤيـــة الله تعالـــى ودلائلها

الرؤية وظيفة البصر، والغاية منها الكشف والعلم والبصر إنما يبين الألوان والأبعاد وما عليه الحقيقة المرئية من الشكل، فالبصر لا يكشف الحقيقة من حيث ما هي عليه فقد يرى الناظر جسماً أمامه فينكشف له لونه وشكله وبعده ولكنه يجهل حقيقته، فإذا انكشفت حقيقته على ما هي عليه فانكشافها يكون بغير البصر، ويكون الإنسان بهذا الانكشاف أدرك الحقيقة، فالرؤية شيء والإدراك شيء آخر ؛ لأن الرؤية : علم ما يمكن أن يراه الناظر من الحقيقة. وإنا لنرى كل الحقائق ونعجز عن إدراكها، فنرى الشمس قدر الرغيف، ونرى الشيء ونجهل طعمه وملمسه وريحه وخواصه وقدره، ولا يمكننا أن نحصل شيئاً من ذلك إلا بقوة أخرى غير البصر.

ولما كانت الرؤية هى الكشف أو العلم فقد تكون بالبصر للماديات وبما يجعله الله تعالى للعبد من النور الذي ينال به تلك الرؤية مما فوق المادة وكلنا نعلم أن الله تعالى تنزه عن المثل – بكسر الميم وسكون الثاء – وأن الله تعالى له المثل الأعلى – بفتح الميم والثاء – كما أن الخيال يمثل المحسوسات والوهم يمثل الحقائق العقلية فى كل إنسان مهما كان، فالله تعالى يجعل للمؤمنين نوراً يكرمهم به ليتفضل عليهم برؤيته سبحانه بمقدار ما تطمئن به قلوبهم كل على قدره. قال تعالى : (وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)(1) ولما كانت الأبصار تقتضي وجود الحقيقة مقابلة لها مفصولة عنها وأشعة من النور تنكسر على تلك الحقيقة فى أفق خال من الحجاب حتى يحصل المراد من الرؤية وهو الكشف والعلم، وكان الوهم والخيال يحتاجان إلى استخدام البصر ليقوما بوظيفتهما، كانت رؤية الله تعالى بتلك الكيفية مستحيلة، ومنكرها ممن وقفوا عند

(1) سورة الصافات آية 164

هذا الحد لهم العذر فإن إثباتها لا يقبله العقل المكتسب بتلك الكيفية، فإذا نظرنا بعيون الإيمان إلى أن القادر الذي جعل عيوناً ترى تلك الحقائق بالوسائط التى وضعها سبحانه وتعالى قادر أن يهب لأهل محبته نوراً يرون به ربهم – تنزه وتعالى عن الممثل والنظير والشبيه – قال سبحانه وتعالى : (لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)(1) أي : لا تحيط بكنهه الأبصار مطلقاً لا أبصار الرءوس ولا أبصار العقول ولا أبصار الأرواح (وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) (2) كلها لأنه سبحانه هو الذي خلقها بعلم وقدرة وحكمة وإرادة. قال سبحانه (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)(3) أي : كيف لا يعلم الرب جل ثناؤه من أنشأه من العدم وكيف يخفى عليه من خلق وهو اللطيف بعباده الخبير بهم و بأعمالهم وما تكنه صدورهم.

الحقيقة مقابلة لها مفصولة عنها وأشعة من النور تنكسر على تلك الحقيقة فى أفق خال من الحجاب حتى يحصل المراد من الرؤية وهو الكشف والعلم، وكان الوهم والخيال يحتاجان إلى استخدام البصر ليقوما بوظيفتهما، كانت رؤية الله تعالى بتلك الكيفية مستحيلة، ومنكرها ممن وقفوا عند هذا الحد لهم العذر فإن إثباتها لا يقبله العقل المكتسب بتلك الكيفية، فإذا نظرنا بعيون الإيمان إلى أن القادر الذي جعل عيوناً ترى تلك الحقائق بالوسائط التى وضعها سبحانه وتعالى قادر أن يهب لأهل محبته نوراً يرون به ربهم – تنزه وتعالى عن الممثل والنظير والشبيه – قال سبحانه وتعالى : (لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)(4) أي : لا تحيط بكنهه الأبصار مطلقاً لا أبصار الرءوس ولا

---

(1) سورة الأنعام آية 103

(2) سورة الأنعام آية 103

(3) سورة الملك آية 14

(4) سورة الأنعام آية 103

أبصار العقول ولا أبصار الأرواح (وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) (1) كلها لأنه سبحانه هو الذي خلقها بعلم وقدرة وحكمة وإرادة. قال سبحانه (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)(2) أي : كيف لا يعلم الرب جل ثناؤه من أنشأه من العدم وكيف يخفى عليه من خلق وهو اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم وما تكنه صدورهم.

دليل رؤية الله تعالي من الكتاب

وأثبت سبحانه الرؤية بقوله : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(3).فأثبت ﷻ أنه يهب جمالاً ونور لأهل محبته، حتى تكون وجوههم ناضرة بما يتفضل عليهم به من مزيد الإحسان، قال تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)(4) فالحسنى : النعيم المقيم للجسم والمسرات الدائمة للحس. والزيادة : رؤية الوجه العلي الكريم بما يجعله الله تعالى للعبد من النضرة. ومن ذاق طهور قوله ﷺ فى الحديث القدسي : (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) إلخ الحديث يعتقد أن المؤمن يري ربه فى الدنيا يقظة ومناما، ويراه يوم القيامة عياناً، وكل على قدره، وإنما هى طمأنينة القلب التى تحصل للمؤمن كما تحصل لمن رأي حقيقة ما بعيني رأسه، وما علي العبد المؤمن الذي منحه الله التسليم والذوق والفقه إلا أن يقول كما قال الراسخون فى العلم : (آمنا به كل من عند ربنا) خصوصاً بعد أن أشهده خواص تلك الكائنات التى اخترعتها العقول واستخدمتها للنفع العام، مما أودعه سبحانه فى العقاقير الطبية وفى المعادن وغيرها، ومما رأته الأبصار من البأس الشديد فى الحديد والنفع للناس، مما كان يجهله الإنسان وقد انكشفت للعقول آيات كثيرة كانت خفية فى طي تلك الكائنات

(1) سورة الأنعام آية 103

(2) سورة الملك آية 14

(3) سورة القيامة آية 22 – 23

(4) سورة يونس آية 26

أخبرنا عنها العلي المجيد فى آيات لا تحصى،ومن أشهده الله تعالى حكمة رفع السماء بغير عمد، وحكمة تسيير الأفلاك وتصريف الرياح وتسخير السحاب وما فى الأرض وفى الأجواء والسموات من الآيات والخواص.

كل تلك الآيات المنكشفة لأهل الإيمان تجعلهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن الله تعالى يكشف عنا حجاب البين ويجملنا بنضرة وجوهنا ووضاءتها وبهائها بما يتفضل به علينا من كمال معرفتنا بأنفسنا التى جعلها سبباً لمعرفته سبحانه وتعالى ؛ فإن العبد المؤمن يعلم من الله تعالى بقدر ما علم من نفسه ومن خلقه، وبقدر ما يعلم من الله تكون وضاءته وجماله ونضرته فيري ربه عياناً بعد رؤيته سبحانه بياناً.

وقد علمت أن الإيمان هو التصديق، أن فوق الإيمان علم بالمؤمن به، وفوق العلم ذوق، وفوق الذوق رؤية، وفوق الرؤية شهود، وفوق الشهود فناء عن الشهود إعظاماً وإجلالاً للجناب العلي وتفريداً لحضرته العلية بالقصد دون غيره، وفوق ذلك مقام الرضا عن الله ويلى الرضا التوكل عليه سبحانه ويلي التوكل تفويض كل الأمور إليه ﷻ فمن كان مقامه الإيمان وأنكر خبراً من أخبار رسول الله ﷺ نفي الإيمان عن نفسه ؛ فإن الصادق لا يتهم بالكذب فى أخباره، وقد يلعب إبليس بعقول بعض المؤمنين فينكر تأويلا، ومتى وجد إبليس منفذاً يدخل منه فى قلب المؤمن أفسد عليه القلب قال الله تعالى : (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ...)(1)

ثم أخبر عن الراسخين فى العلم أنهم : (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ)(2).

(1) سورة آل عمران آية 7

(2) سورة آل عمران آية 7 – 8

وهذا ما أدب الله به الراسخين فى العلم. والسلامة كلها فى اتباع السلف فى هذه المواضيع التى هى محل الاختبار والامتحان، وكيف لا ؟ والله تعالى يقول (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ....)(1) فنفى المثلية عنه سبحانه فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فمن شبه الخالق بالمخلوق وحكم على الخلاق العظيم بما يحكم به على المخلوقين أخطأ وأساء الأدب.

وقد ثبت جواز الرؤية بطلب كليم الله عليه السلام بقوله : (رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ)(2) ورسل الله معصومون من خطأ طلب المستحيل ورد الله تعالى عليه بقوله : (لَن تَرَانِي)(3) لأن الله سبحانه لم يمنحه القوة على تحمل الرؤية كما منحه القوة على تحمل الكلام، بدليل أنه لم يقو على رؤية تجلى ربنا ﷻ للجبل بقدر الجبل فدك الجبل وصعق الكليم- عليه السلام ولم يقو علي رؤية تجلي ربنا ﷻ ولكن الله وهب لحبيبه ومصطفاه ﷺ القوة على تحمل الرؤية فرأى ربه عند ربه مطمئن القلب ثابت العقل والجسم والحس.

وقد أخبرنا الله تعالى بأن رؤية الملائكة لا تطيقها القوى البشرية إلا بقدرة من الله تعالى يتفضل بها على أنبيائه ورسله بها يتيسر لهم رؤية الملائكة والسماع منهم، ومن لم يهب الله له تلك القوة لا يطيق رؤية الملائكة قال تعالى : (يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً)(4) بل لا يطيق رؤية الجن، لا بل قد يفزع ويهلع ويجزع إذا رأى حيواناً مفترساً قريباً منه فيغمى عليه من الهلع، مع أننا نرى

(1) سورة الأعراف آية 143

(2) سورة الأعراف آية 143

(3) سورة الأعراف آية 143

(4) سورة الفرقان آية 22

أن بعض الرجال يهاجمون السباع فى غاباتها، وبعض الأولياء يسخر الله لهم تلك الوحوش وكل ذلك بما يتفضل به من القوة على العبد.

والأولى أن يحفظ كل مسلم رتبته التى أقامه الله فيها.

فأهل الإيمان : يلزمون التصديق بما جاء به رسول الله من أخبار البعث والحشر والميزان والصراط والجنة والنار والرؤية وغيرها.

وأهل الإحسان : يلزمون مرتبتهم من رعاية آداب الله وآداب رسول الله ﷺ وآداب الاتباع.

وأهل الإيقان : يلزمون مرتبتهم من المراقبة لجلال الله تعالى ورعاية وعظمة وكبرياء وتنزيه الحق ﷻ والقيام بحقوق العبودية على صراط الله المستقيم محافظة على اتباع سيد المرسلين ﷺ ؛ لأنهم من أهل محبة الله تعالى.

ومن سوء الأدب أن يتعدى أهل مقام الإيمان حدود الأدب فيطمعون فيما تفضل الله به على أهل الإحسان فإذا لم ينالوا أنكروا وأولوا.

و الجنين فى بطن أمه لا يمكنه أن يتصور الدنيا حتى يراها، وكذلك الطفل لا يمكننا أن نجعله يتصور لذة الوقاع لأنه ليست له تلك القوة التى يدرك بها، وكم أهلك التأويل رجالاً رمي بهم إلى هاوية البعد والقطيعة. منحناً الله تعالى التسليم فى مقام الإيمان، والذوق فى مقام الإحسان، والرؤية فى مقام اليقين، حتى تطمئن قلوبنا فى كل مرتبة فنكون من الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ)(1) وقال سبحانه : (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ

(1) سورة الزمر آية 23

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)(1).

دلائـــل رؤيـــة الله تعالـــى من الأحاديث

عن جرير بن عبد الله - رضى الله عنه — قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضارون فى رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس - وقبل غرو بها - فافعلوا ثم قرأ : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) أخرجه الخمسة إلا النسائي.

وعن صهيب - رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، ألم تنجنا من النار، قال : فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ثم تلى هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة). أخرجه مسلم والترمذي وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك تعالى؟ قال، (نور أني أراه) أخرجه مسلم والترمذي

(1) سورة الزمر آية 17 –18

وسيلــة النجــاة يـوم القيامــة

بينت لك يا أخي ما ورد فى الكتاب والسنة من أهوال يوم القيامة وماجعله الله لأهل الكفر به، وللمنافقين والمتساهلين بدينهم من أليم العذاب وشديد العقاب، مما لو تمثله المسلم لذاب خوفاً، ولو تذكره لما تلذذ بطعام ولا بشراب ولا بنساء.

فكيف يا أخي لو غفل المسلم حتى وقع فى هذا البلاء أو نسي حتى يدركه الموت ؟ ووقف أمام ربه والشاهد عليه النبي ﷺ وجوارحه، وتحقق أنه لا رجوع بل ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

تمثل أيها المسلم هذا الموقف متحققاً أنه لابد منه، ثم استحضر أن الموت مستور عنك وقته لا يعلم الإنسان متى يحل به، ثم تمثل ما أعده الله لأهل الإيمان به من المسرات الدائمة والخيرات الباقية والأنس برؤية وجهه العلي الجميل مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مما هو فوق ذلك يا أخي من نيل رضوان الله الأكبر، ومن الابتهاج فى معية الله تعالى من سماع كلامه المقدس منه ﷻ وما هو فوق ذلك مما لا تفي به العبارة ولا تبينه الإشارة.

لعلك يا أخي إذا تمثلت هذا الفضل العظيم سارعت إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين شرح الله صدرك وسقاك جرعة من صافي شراب محبته وجعل لك نورا تستبين لك به تلك الحقائق حتى تكون ممن بشرهم الله تعالى بقوله: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(1) وقوله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

(1) سورة القيامة آية 2 -23

مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)(1) وممن بشرهم الله تعالى بقوله : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه)(2).

الوسائل لنيل خيري الدنيا والآخرة

أنزل الله تعالى كتابه العزيز جامعاً لخيري الدين والدنيا، مفصلاً لنا كل شيء نحتاج إليه فى الدنيا والآخرة قال تعالى : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)(3)

ثم بين لنا رسول الله ﷺ بعمله وقوله وحاله هذا التفصيل وما أبهم علينا من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات بياناً جلياً أدركه كل إنسان مهما كان عقله وفكره فصرنا والحمد لله ببيان رسول الله ﷺ فوق الملائكة مقاماً عند الله تعالى ؛ إذ أعاننا الله على فقه العقيدة وعلى القيام بالعبادة والتجمل بالأخلاق وحسن المعاملة، وما أيسرها على قلوب أهل التوفيق أهل الهداية ؛ لأن الله تعالى لم يكلف نفساً إلا وسعها

الوسيلـــة الأولـــى

العقيدة :

العقيدة – قد جمع الله لنا العقيدة فى آية من القرآن وفى أقصر سورة فيه فالآية قوله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ)(4) فمن صدق الله تعالى وصدق رسوله بما جاء فى تلك الآية فهو

---

(1) سورة عبس آية 38 –39

(2) سورة البينة آية 8

(3) سورة الأنعام آية 38

(4) سورة البقرة آية 285

مؤمن بالغيب وهو ممن بشرهم الله بقوله : (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) (1)

والسورة هى قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) (2) فأخبرنا الله تعالى عن نفسه بنفسه وهو العالم بنفسه العالم بقدر عقولنا أنه سبحانه أحد أى :منزه فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله تنزيها يليق به وأنه سبخانه وتعالى صمد أي غني عن ما يحتاج إليه خلقه، وعن خلقه، وكل من سواه مفتقر إليه (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)(3) أي أنه علي عظيم عن أن يحتاج فى وجوده الذاتي إلى سبب الوالد والوالدة وكيف لا ؟ وكان ولا شيء قبله وبه قامت الأشياء وهو العلي الكبير الغني بذاته عن الاحتياج إلى الولد.

ثم قال سبحانه : (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)(4) فأخبر عن نفسه سبحانه أنه القاهر فوق عباده وأن خيرة خلقه من الرسل والملائكة والأرواح العالية كلهم عبيد مقهورون وعباد مربوبون مقهورون بقهار فمن ظن أن لله كفؤا أو نظيرا أو مثيلاً كفر، وإذا صدق المسلم ربه فيما أخبر به عن نفسه فى الآية والسورة فهو من الناجين يوم القيامة الذين يدخلون الجنة مع السابقين ما اجتنب الكبائر الموبقات، قال سبحانه : (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً)(5).

---

(1) سورة لقمان آية 5

(2) سورة الإخلاص

(3) سورة الإخلاص آية 3

(4) سورة الإخلاص آية 4

(5) سورة النساء آية 331

الوسيلـــة الثانيـــة و الثالثة

العبادة و المعاملة

العبـادة والمعاملـة مبينتـان بالتفصـيل فى كتـابي(أصـول الوصـول) (والإسـلام دين).

الوسيلـــة الرابعة

الأخلاق

الأخلاق : هي السر الذي أرسل الله الرسل لأجله ؛ لأنه سبحانه أودع فى الإنسان جوهرة روحانية نورانية ربانية لأجلها سخر له ما فى السموات وما فى الأرض وأراد سبحانه أن يقيم الإنسان خليفة له فى الأرض ليتم مراده الذي قدره من إيجاد الكون جامعاً لأنواع الطهر، وهم الذين يطيعون فلا يعصون، وأنواع الخبث والشرور ؛ وهي النفوس الشريرة التى تعصى ولا تطيع، والعالم الوسط الذي خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وجمع فيه بين أسفل السافلين وأعلى عليين يعصى ويطيع.

فالنوع الأول : هم الأرواح الطاهرة عمار ملكوت الله والحافين بعرش الله والنوع الثاني : هم مردة الجن وأبالسة الشياطين. والنوع الوسط الذي إذا كمل ارتقى إلى أعلى عليين وإذا هوى انحط إلى حضيض الشياطين هو الإنسان قال تعالى : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)(1) فسجد له الملائكة سجود محبة وتعظيم لأمر الله وإجلال لما فيه من معاني الصفات وقهر الله حقائق السموات والأرض وما فيها تسخير للإنسان. وكمال الإنسان بما يرتسم علي جوهر نفسه من العلوم وبقدر ما تتصوره نفسه من أسرار تلك الحقائق ومما فيه حتى يبلغ إلى مقام يتجمل فيه بأخلاق ربه بعد معرفة نفسه وبمعرفة نفسه يعرف ربه قال رسول الله ﷺ :(من عرف نفسه عرف ربه)ومعنى ذلك – والله أعلم – أن النفس لها

---

(1) سورة ص آية 71

أعمال خاصة بها تفارق أعمال الأجسام من كل وجه، وتلك الأعمال جعلها الله تعالى إشارة يبين بها غيبه المصون للعقل حتى يراقب ربه فى كل حركة وسكنه مراقبة تجعله حاضراً مع ربه أو تجعله يعتقد أن الله تعالى معه قال عليه الصلاة والسلام : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أخرجه البخاري.

وإنسان نال قسطا من هذين المقامين يكون نجماً مضيئاً لأهل عصره وغيثا نافعاً للعباد بما يجمله الله من الأخلاق الفاضلة والعلوم النافعة والأحوال العلية وإنما ميزان الرجال بأخلاقهم فقد يكون الرجل فوق الملائكة قريباً من الله تعالى بعلمه.

وأخلاقه وأعماله وأحواله قد يكون شراً من إبليس لجهله وسوء خلقه وقبح أعماله وأحواله قال عليه الصلاة والسلام : (أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) رواه مسلم

وإليك وميضا من ساطعة العرفان نكشف بها للعقل لا للروح حكمة أن معرفة الله متوقفة على معرفة النفس بطريق الإشارة

بيـــان أول :

خلق الله النفس واحدة ومنحها القوة على تدبير الجسد مع تفاوت عناصره وتعدد الأضداد فيه وكثرة الانفعالات إشارة منه سبحانه إلى أنه واحد أحد دبر الكون وقدر ما فيه وأبرز ما أراده منفرداً غنياً عن الوزير والنظير والمعين الوكيل.

بيـــان ثان

خلق النفس قبل الجسد وأودعها فيه مدة حياته ثم أماته وأبقاها ليظهر للعقل أنه الأول قبل خلقه فلا افتتاح لأوليته والآخر بعد فناء خلقه فلا إنتهاء لآخر يته وتلك الحقيقة اتضحت بهذا المعنى للعقل جلية.

بيـــان ثالث

منح الله النفس قوة تعلم بها جميع الجسد وما فيه وقدرة تدير بها شؤونه فهي تسمع وتبصر وتتكلم ليقتبس العقل من صفاتها المخلوقة لله أن الذي وهبها يعلم سر خلقه وجهره وهو علام الغيوب والقادر على خلقه بقدرة علية وإرادة وقهر.

وبما قدمت لك من الإشارة فى هذه البيانات، يمكنك أيها المسلم أن تنظر إلى نفسك فترى بقية صفاتها الدالة على كمال مبدعها وعظمة من تفضل عليها فجعلها مرآة مجلوة تظهر لأهل الإيمان الكامل أسرار معرفة الله تعالى، فسبحان من أظهر آياته حجة للعقول وأنواره راحاً للأرواح وجمال وجهه العلي بهجة للمقربين، ومزيداً للفائدة أدير عليك رشفة من طهور معرفة أفعال النفس التى بها تعرف أفعال ربك ﷻ.

أتكلم مع العقل بالحقائق لا بالمثال.

تعلم أن للنفس إرادة يهبها الله تعالى لها عند إرادة ما قدره. تظهر تلك الإرادة فى القلب الذي يمثل العرش فتقوى تلك الإرادة حتى تصل إلى المخيخ الذي هو فى مؤخر الرأس وهو مصدر الحركة والحس الذي يمثل الكرسي فتظهر آثارها على الجوارح الخاضعة للنفس فينقذها بقدرة الله تعالى وسابق إرادته والجوارح المحترمة تمثل الملائكة ويسرى ذلك إلى الجسد فينفعل بهذا الأثر والجسد يمثل الأرض فتحدث آثار تلك الإرادة التى نزلت إلى القلب أكمل معانيها كما ينزل الأمر إلى العرش ومنه إلى الملائكة ومن الملائكة إلى الأرض فيظهر ما شاء أن يظهره وبمعرفة تلك الحقيقة يعرف الفرد أفعال ربه التى تجلت له فى نفسه، فأفعال النفس منها غيب وهو الإرادة وتأثيرها

فى الدماغ وفى الجوارح، ومنها ظهور فالأول عالم الغيب والثاني عالم الشهادة، فسبحان من أظهر بالنفس ما به اطمأنت القلوب وقبلت العقول، و كل صفات النفس وأفعالها مخلوقة مبدعة والنفس مقهورة محدثة ولكنها أمثلة جلية تقتبس منها العقول غوامض العرفان فتفوز بمعرفة ربها فالنفس التى لها تلك الأفعال والمزايا مقهورة بقهر الله يقهرها متى شاء ويذلها ويعزها متى شاء ويرفعها ليس لها تأثير ولا تصريف وجهل من ظن غير ذلك، فالنفس والملائكة والأفلاك والعقول خاضعة لإرادة الله مقهورة بتدبيره ليس لها تأثير ما فى كائن من الكائنات والفاعل المختار المؤثر هو الله وإنما تفضل الله تعالى بتلك المزايا لتتضح للعقول أسرار فوق مقدارها قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ)(1).

ظهر لك أن معرفة النفس تجعل العارف بها عارفاً بربه، وبذلك يتخلق بأخلاقه سبحانه فيكون وهو فى هيكله السفلى مع الله والله تعالى معه، ويكون وهو فوق تراب الأرض متنعماً برؤية ملكوت السموات والأرض ليقوى يقينه. ومن جهل نفسه جهل ربه فكان شيطاناً وشراً منه ووحشاً وأضر من الوحش، وليس من قهر بالنار والبارود فانطبع على الخير فإذا تمكن فجر، كمن راقب الله تعالى فأحسن إلى من أساء إليه ووصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وتحمل البلاء فى دعوة الخلق إلى الخير وآثر أخاه على نفسه، وصبر على طاعة الله، ورضى عن الله فى قضائه وقدره، وعاش حميداً ومات حميداً وقليل ما هم...

الصلاة يا أخي عادة، والصيام صبر، والزكاة كرم، والحج جهاد، والأخلاق تصدق أو تكذب. وكم من صائم قائم عالم بالأحكام والدنيا أحب إليه من الآخرة وكم من مجاهد يبتغي غير الله والأخلاق حجة الله القائمة لخلقه أو عليهم. قال عليه الصلاة والسلام : (ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم منى مجالس يوم القيامة قالوا : بلى يا

(1) سورة فصلت آية 53

رسول الله قال : أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون) وقال عليه الصلاة والسلام : (إن الله تعالى خلق آدم على صورته) وليس المراد أنه خلقه على صورة لها أبعاد وحدود وكم وكيف تنزه ربنا ﷻ. والمراد – والله أعلم –أنه جمله بمعاني صفاته وجمال أخلاقه.

وقد رأينا تتميماً لما بيناه من وصف الحياة الثانية وأدوارها وتعميما للنفع بهذا الكتاب أن نورد هنا شيئاً عن ذكر الموت وما يليه، ولو أن هذا الباب معلوم ومشهور فى كتب الفقه إلا أنه أول خطوة من خطوات الآخرة فيجب أن نذكر عنه شيئاً ضمن ما نورده من تفصيل النشأة الثانية.

خاتمة الحسنى

الموت : هو مفارقة كون الفساد والرجوع إلى دار البقاء وهو نهاية الرحلة وبداية الاتصال بعالم البرزخ، فإذا نزلت علاماته تعين على المسلم أن يوصى وهو فى بداية المرض وأن يحسن ظنه بالله تعالى طامعاً فى عفوه ومغفرته وإحسانه، وأن يعتقد أنه مقبل على رب كريم لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات. ويتعين على الذين يتولون خدمته أن يديموا له البشائر بواسع رحمة الله وعظيم عفوه وعميم إحسانه حتى يفرح بلقائه سبحانه فإذا غمرته سكرة الموت أسمعوه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تلقينا ويقوم بهذا التلقين صالح محبوب له، ويجب أن يمنع عن زيارته أعداؤه، ومن صحبوه فى المعاصي، ويجب أن لا ترفع الأصوات أمامه فى هذا الوقت باليأس أو بالقنوط أو ما يحزن كقولهم : (تترك أولادك لمن؟) أو (من يقوم بشأن أهلك) من الألفاظ التى تكره الإنسان فى الموت والأولى قراءة سورة يس وتكرار قوله تعالى : (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ)(1) ومن الرحمة بالميت حال الاستحضار بُعد أقاربه المنزعجين عليه الذين يقولون ويعملون عمل الجاهلية ليفارق الدنيا فرحاً بلقاء الله تعالى غير آسف على مفارقة شيء فيها فإذا أنهى النفس الأخير ختم عليه عمله وبقى الواجب على أهله وأقاربه.

(1) سورة يس آية 26 –27

قبــس مـن الســر المصــون

حكمة إيجاد الخلق :

تعلم أن حكمة إيجاد الله الخلق أن يظهر سبحانه لخلقه ربا مقصوداً وإلها معبوداً قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (1)

وأن يكون سبحانه أقرب إليهم من أنفسهم رعاية ومراقبه أو ملاحظة وتذكيرا،قال سبحانه: (وهو أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) (2)وقال سبحانه (وَنَحْنُ أَقْرَبَ مِنكُمْ) (3)

وأن يكون سبحانه وليا معينا مجيبا مغيثا، قال تعالي (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) قال سبحانه (4) وقال سبحانه (أَمَّن يُجِيبُ المضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)(5) فمن سبقت له الحسنى حضر فلا يغيب، فإذا اقتضت البشرية فمس شيطانها المؤمن بين له نور الإيمان بالذكرى حكمة إيجاده فرجع إلى الله مستبصراً قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)(6) ومن لم تسبق لهم الحسنى وكانوا فى حضرة القرب مسهم طيف الشيطان فوقعوا فى وادي الغفلة وتاهوا عن المحجة فى بيداء الحجاب، قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ المقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ المسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(1) سورة الذاريات آية 56

(2) سورة ق آية 16

(3) سورة ق آية 16

(4) سورة ق آية 16

(5) سورة النمل آية 62

(6) سورة الأعراف آية 201

(1).وقال سبحانه: (وهو أقرب إليه منكم) وإن يكون سبحانه وليا معينا مجيبا مغيثا قال تعالى : (وهومعكم أينما كنتم)

وقال سبحانه : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا) (2) والمؤمنون يتذكرون ويستبصرون، والمحسنون يجاهدون فيشهدون، والموقنون منحوا الرعاية فيراقبون فيحضرون. قال سبحانه : (وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) (3) وإنما هو العلم يرفع الله به من يشاء، ولا يستوي العالم بالله و بأيام الله و بأحكام الله وبحكمة أحكامه سبحانه والجاهل بها.

وليس العلم ما يقربك من الملوك والأمراء ويرفع مقامك عند الخلق من علوم الصناعات وعلوم اللسان وعلوم السياسة وتدبير المدن فإن هذه علوم عند أهلها ؛ لأن الله تعالى شنع على من حصلوا تلك العلوم وجهلوا العلم النافع الذي يكسب القلب خشية من الله تعالى قال تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (4).

خلق الله الإنسان مؤهلاً لأن يكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر تخدمه الملائكة الأطهار ويمنحه الله المشيئة المطلقة، وبين الله له ذلك فى الدنيا ليسارع إلى محاب الله ومراضيه وابتلاه بالشيطان والحظ والهوى ليجاهد نفسه فى ذات الله، فنسى نفسه أو جهلها، ونسى عهد الله له وأمانة الله لديه ولو علم حكمة إيجاده وسر إمداده لأنس بربه فى الدنيا ورآه يوم القيامة.

---

(1) سورة آل عمران آية 14

(2) سورة الجمعة آية 11

(3) سورة الصافات آية 164

(4) سورة الروم آية 7

ولو نظر الإنسان بعين فكره إلى نشأته الأولى والأخرى لعلم مقدار الدنيا ولجعلها مزرعة للآخرة وطريقاً يوصل إليها ولكن قال تعالى : (قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ) (1).

أثبت سبحانه أنه هو الذي أوجدنا من نطفة فى قرار الرحم لنعلم فضله العظيم علينا وقدرته العجيبة التى بها أوجدنا ثم بين سبحانه أنه هو الذي أمدنا بما لا بد لنا منه وأكمل سبحانه : (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَباًّ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقاًّ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَباًّ وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَباًّ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ) (2).

ثم بين لنا أن الذي خلقنا مما عامنا وأمدنا بما علمنا وشهدنا هو سبحانه الذي ينشئنا النشأة الأخرى بعد الأهوال العظام من الفتن قبل فناء الإنسان وبعد الآيات الكبرى من إنزال المنى من السماء حتى تدوب الأرض من رجها ودكها ونسف جبالها حتى تكون هباء منثوراً بعد أن تكون كثيباً مهيلا بقواصف الرياح، بين الله سبحانه تلك الحقائق بقوله : (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أَوْلَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ) (3)

فالصاخة هى تلك الآيات من دك الأرض ورجها حتى تحلل وتصير جبالها هباء منثوراً ويتبعثر ما فيها وتخرج أثقالها، وينفخ فى الصور النفخة الثالثة فيقوم الناس لرب العالمين فى جزع وهلع مما حل بهم من هول المحشر انقطعت بينهم الأسباب والروابط

---

(1) سورة عبس آية 17 -22

(2) سورة عبس آية 23 -32

(3) سورة عبس آية 33- 42

والأنساب والضوابط فصاروا حيارى سكارى يتمنى كل واحد منهم خلاصه ولا خلاص،وهذا هو المقام الذي تظهر فيه الحقائق جليه فيفرح المسلمون الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ وهم الذين بشرهم الله تعالى بقوله : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتبشِرَة)(1) ويحزن أهل المعاصي لهول الموقف ويتمنى كل واحد منهم أنه لم يكن نسى هذا اليوم وييئس أهل الكفر والنفاق ويتمنون أن يكونوا تراباً وهم الذين خوفهم الله فى الدنيا بقوله : (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أَوْلَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ)(2)

بينت لك أن حكمة الإيجاد والإمداد أن يظهر ﷻ للخلق بآياته الجلية لأن ظهوره سبحانه له فيه مستحيل أن يظهر به لغيره قال سبحانه وتعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)(3)

وقال ﷻ : (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)(4) وقال تعالى : (ولاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ)(5) فنفى سبحانه وتعالى عن الخلق الإحاطة بقليل من العلم إلا ما شاء أن يحيطنا علماً به سبحانه، فكيف تدرك ما هو عليه فى نفسه سبحانه، والعلم غير المعلوم.

وكمال العلم به سبحانه العجز عن إدراك علمه فضلاً عن كنهه ﷻ، وما أظهره يوم القيامة هو محبوبة سبحانه ؛ لأن تلك الشدائد والنار عدل منه سبحانه هو – تنزه وتعالى – يحب العدل.

---

(1) سورة عبس آية 38 – 39

(2) سورة عبس آية 40 –42

(3) سورة الزمر آية 67

(4) سورة الأنعام آية 103

(5) سورة البقرة آية 255

وما تفضل به على المقربين والأبرار يوم القيامة فضله العظيم، وفضله محبوبه – جل جلاله – إلا أن الفضل أحب إليه من العدل، وهو المريد المختار لم يكرهه أحد على عمل من الأعمال، ومن الذي يكرهه !! والكل مقهورون بقهره، وهو سبحانه الذي أوجدنا من العدم بعلم ومشيئة وإرادة وحكمة وتدبير.

وهل كان للعدم قوة تكره ربنا على عمل من الأعمال تنزه وتعالى ولكنه سبحانه خلق الخلق وأراد أن يكون منهم شقى وسعيد قبل أن يخلقهم، فأبرزهم القدرة كما شاء وأراد ومراده ﷻ محبوب له.

وما ورد فى القرآن من اتصافه بالكراهة فمعناها – والله أعلم – علم عدم المشيئة فى قوله (كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ)(1) أي : لم يشأ ولم يقدر.

أما الكراهة بمعناها المعقول لنا فمستحيلة عليه ﷻ فهو سبحانه الذي خلق إبليس وأبلسه لحكمة، وخلق آدم وقدر عليه المعصية وتاب عليه وهدى وإرادته مقتضى كمال أسمائه وصفاته،وأمره ونهيه ابتلاء منه لخلقه قال تعالى : (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (2) وقال سبحانه : (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) (3) فهو سبحانه القهار والرءوف الرحيم والضار والنافع والخافض والرافع والهادي والمضل قال تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (4).

---

(1) سورة التوبة آية 46

(2) سورة الأنبياء آية 35

(3) سورة البقرة آية 124

(4) سورة هو آية 118- 119

فهو الجليل وهو الجميل وهو المحسن المتفضل وهو شديد البطش شديد العقاب، وما تراه بعينيك هو بدائع إبداعه وغرائب قدرته وعجائب حكمته وباهر قوته فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال سبحانه : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (1) يعنى : الذي يملك يوم القيامة ملكاً لا ينازعه فيه مغرور بنفسه ولا جاهل بقدره ولا غافل عن مبدئه ونهايته ولا كافر أعماه حظه وهواه وأبعدته شهواته عن الحضور مع الله كما كان فى الدنيا فإن العالم يوم القيامة كشفت لهم الحقائق حتى عرفوا أنفسهم وعلموا مقدارهم الحقيقي، وأيقنوا أن الملك لله الواحد القهار، وكانوا فى الدنيا ينازعون الربونية وينافسون الألوهة، فهذا يقول : ملكي وعيناي وأذناي ومالي وداري وعبيدى، وهذا يدعى أنه ملك وأنه يفعل ما يشاء، وذاك يزعم أنه يضر وينفع، وهذا ينكر البعث والآخر يجحد بالله، وغيره يكذب رسل الله عليهم السلام ويعادي أولياءه، وغيره يظلم العباد ويفسد فى البلاد، والآخر ينتقم ممن لم يعظمه جهلاء بيوم الحساب ونسياناً لله تعالى قال سبحانه : (نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) (2) وقال تنزه وتعالى : (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وقال جل وعلا : (وَغَرَّكهم بِاللَّهِ الغَرُورُ) (3)و قال سبحانه : (رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) (4) وما الحياة الدنيا إلا متاع، والمتاع فى اللغة هو ما استعملته حتى صار لا ينتفع به، والسعيد من هداه الله وألهمه الخير ومنحه صحبة الأخيار الدالين على الخير. أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن سبقت لهم منه الحسنى إنه مجيب الدعاء.

---

(1) سورة الفاتحة آية 4

(2) سورة الحشر آية 19

(3) سورة الحديد آية 14

(4) سورة يونس آية 7

الشفاعــة

الشفاعة في القرآن:

اختلاف العلماء فى الشفاعة لفظي فإن كل واحد منهم حكم بقدر ما فهم، فمن فهم قوله تعالى : (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)(1) أنكر الشفاعة لما يعلمه من عظمة الله وكبريائه وجلاله، ومن رهبة الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – بقدر علمهم به، ولكن الآية خاصة بمخصوصين ؛ لأن الله تعالى يخاطب قوما بأعيانهم، وهؤلاء هم أعداء الله وأعداء – رسله عليهم السلام – وهذه الآية فى سياق قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (2)

ومن فهم معنى قوله تعالى : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)(3) وكلنا نعلم أن رسول الله ﷺ يرضيه أن يرحم الله كل من مات على الإسلام، ونعلم أن الله تعالى أخبر عن نبيه ﷺ بقوله : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وبقوله : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (4) وتصور معنى تلك الآيات اطمأن قلبه إلى الإيقان بشفاعة سيد المرسلين

ومن فهم قوله تعالى : (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)(5) تحقق أن الله تعالى يقبل شفاعة الشافعين فى أهل النار إذا أذن لهم بالشفاعة ويري إنكار الشفاعة، مطلقاً خطأ.

الشفاعة في الأحاديث:

---

(1) سورة المدثر آية 48

(2) سورة المدثر آية 38

(3) سورة الضحى آية 5

(4) سورة الأنبياء آية 107

(5) سورة البقرة آية 255

والحجة بعد ما بيناه ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة على شرط الشيخين أو شرط غيرهما ممن ثبتت عدالتهم.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً) أخرجه الثلاثة والترمذى.

وعن جابر رضى الله قال : قال رسول الله ﷺ : (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتي) أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : اشفع لذريتك، فيقول : لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم –عليه السلام – فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله تعالى فيؤتى بموسى – عليه السلام – فيقول : لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله تعالى وكلمته، فيؤتى بعيسى عليه السلام فيقول : لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتونى فأقول : أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله ثم أخر لربى ساجداً فيقول : يا مُحَمَّد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي مثل الأولى فأقول يا رب أمتي أمتي، فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربى فأفعل كما فعلت، فيقال لي ارفع رأسك مثل الأولى، فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقال : انطلق فمن كان فى قلبه أدني من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فى الرابعة

فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي : يا مُحَّد ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع

فأقول : يا ربي أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، قال : ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) أخرجه الشيخان.

ووردت أحاديث أخرى كثيرة فى الشفاعة ولكنا أحببنا أن نورد الأحاديث التى تقوم بها الحجة مما ورد بصحيح البخاري ومسلم أو بصحيح غيرهما وعلى شرطهما.

رشفـــة مــن طهـــور العرفـــان

فضل الله ورحمته على العالمين:

خلق الله العالم وهو غني عن العالمين وتفضل ﷻ وهو ذو الفضل العظيم فرحم الخلق بالخلق فى الدنيا ونفع الخلق بالخلق قال سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(1) فتفضل على من شاء من عباده بفضله وأقامه فى الدنيا سبباً لنيل العباد فضل الله تعالى ورحمته وإحسانه، وإنا لنرى الإيمان والهداية والعلم يتفضل الله بها علينا على أيدي رسله وأحبابه من أوليائه الكرام.

فكما أن الله ﷻ أجرى إحسانه فى الدنيا على يد من شاء من خلقه، فهو ﷻ يقيم من شاء من رسله – عليهم السلام – ومن أوليائه المقربين مقاماً يجعلهم سبباً لنيل أهل المعاصي المغفرة من الله تعالى والنجاة من النار بشفاعتهم.

وليس ذلك مما يؤدى إلى ما لا يليق بالله تعالى من النقص ؛ لأنه سبحانه وتعالى هو المتفضل فى الدنيا والآخرة، ولأن ذلك برهان على كمال فضله وعنايته بأحبابه، وقد بين الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخارى : أن الله تعالى يحب العبد المؤمن حتى يبلغ بحبه له مبلغاً يستجيب له فيه إذا سأل ويعطيه إذا طلب.

---

(1) سورة الأنبياء آية 107

ودليل ذلك فى القرآن المجيد قال سبحانه تعالى : (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ)(1) بعد أن قال سبحانه : (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فيها)(2) أي فى الجنة فمنحهم المشيئة فى الجنة فيما يختص بمسراتهم ونعيمهم، ومنحهم سبحانه المشيئة عنده فيما يتعلق بمن كانوا يحبونهم فى الدنيا ويعطفون عليهم ويرحمونهم، ولا معنى لقوله سبحانه : (لهم ما يشاءون) إلا ما قررته لك من قبول شفاعتهم وإكرامهم بأن يشهدهم الخير فيمن ولاهم فى الدنيا واقتدى بهم وعمل بأعمالهم.

وعبد يحبه الله ويكرمه بأن يجعله دالا عليه ناصراً لدينه مرشداً لعباده ويكرمه على أيدي من اتبعوه بالنصرة والتأييد له وبذل ما فى الوسع مما يملكون، يتفضل سبحانه فيكرم به أتباعه يوم القيامة كما أكرمهم به فى الدنيا وأكرمه بهم فيها.قف أيها العقل عند الأدب لحضرة الربوبية وسلم تسلم فالأمر فوق مقدارك، وليس لك الحكم على ربك، وإنما أنت حاكم على ما فيك وما حولك تدبيرا وتقديراً

وأسمع بأذن القلب قال تعالى : (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)(3) يعنى أنه ﷻ يبعثه ﷺ مقاماً يحمده فيه العالم أجمع، والعالم لا يحمدون ولا يشكرون إلا من نالوا به خيراً عظيماً وما هو هذا الخير يوم القيامة ؟ هو الخير الذي يحتاج إليه كل نوع من أنواع العالم ؛ فنجاة العصاة من النار خير عظيم لهم، ودخول أهل السيئات الجنة فضل عظيم ورفعه درجات أهل الإيمان فى الفردوس الأعلى فضل عظيم، ووصول أهل المجاهدات إلى مقعد صدق فضل عظيم، ونيل أهل المشاهدات رؤية الله ﷻ فضل عظيم، وجلوس المتحابين فى الله على منابر من نور قدام عرش الرحمن فضل عظيم، وفوق ذلك من على المقامات ما لا تفي به عبارة ولا تبينه إشارة.

---

(1) سورة الزمر آية 34

(2) سورة الشورى آية 22

(3) سورة الإسراء آية 79

كل ذلك الفضل العظيم بشفاعة الحبيب المصطفى فى الآخرة، وبتوفيق الله لنا بكمال اتباعه ﷺ فى الدنيا، وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده عليه العالم أجمع.

الشفاعة ليست منازعة لله تعالى فى الألوهية :

ومن ظن أن الشفاعة منازعة الله تعالى فى الألوهية أخطأ ؛ وإنما هو الفضل العظيم يظهره الله على يد من شاء ويعطيه لمن يشاء والله ذو الفضل العظيم، قال الله تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ)(1) فرفعة الذين كمل إيمانهم والذين تفضل عليهم بالعلم إلى تلك الدرجات يذاق منه التفضل عليهم بقبول شفاعتهم فى أحبابهم بعد شفاعة رسول الله العظمى فيمن تلوثوا بالخطايا من السيئات، وإذا تفضل ذو الفضل العظيم بفضله على من شاء من الذي يمنع ؟! قال تعالى : (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا)(2)

وقال سبحانه : (يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(3) بشرنا الله تعالى بأنه سبحانه لا يخزي المؤمنين بعد أن جعل لهم نورا بين أيديهم وعن أيمانهم، وهذه البشرى تدل بصراحة على أنه سبحانه وتعالى يستجيب لهم ويتفضل عليهم بما يريدونه منه سبحانه، فلا يخزيهم ﷻ إذا تشفعوا عنده فى أحبابهم ؛ لأن معنى الخزي : حرمان الطالب من نيل طلبه، وهؤلاء لا طلب لهم يخص أنفسهم ؛ لأن الله تعالى ألبسهم حلة القبول والنور عند خروجهم من القبور وحملهم على رفارف الرحمة والعناية فلم يبق من داع لأن يخبرنا سبحانه أنه لا يخزيهم اللهم إلا ما يتعلق بشفاعتهم

(1) سورة المجادلة آية 11

(2) سورة فاطر آية 2

(3) سورة التحريم آية 8

لأحبابهم الذين كانوا يصحبونهم فى الدنيا ولكنهم قصروا بدليل قوله تعالى : (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا)(1) أي : اجعلنا كلنا نوراً حتى تتفضل علينا بمواجهتك ونيل ما نحبه لإخواننا منك سبحانك، وقال سبحانه وتعالى : (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (2) فرجال أحبهم الله ومنحهم النور عن أيمانهم وبشرهم بالإقامة فى المسرات الدائمة والنعيم الأبدي، وهم الذين جملهم الله بالرحمة فى الدنيا، فكيف تتم لهم المسرات وأهل محبتهم فى الله فى العذاب.

هؤلاء لا يرون هذا النعيم إلا إذا رأوا من كان معهم فى الدنيا فى طاعة الله تعالىمعهم فى النعيم يوم القيامة، ومن هذا نعتقد أن الله تعالى يكرمهم بقبول شفاعتهم فيمن أحبوهم فيه سبحانه وقال تعالى : (لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً)(3) فنفى الشفاعة عن المجرمين وأثبتها لمن اتخذ عهداً عنده سبحانه.

فمنكر الشفاعة بعد إثباتها بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية يحرم الشفاعة يوم القيامة وحسن الظن بالله ومن أوثق عرى الإيمان. فإنا والحمد لله أعتقد أن لرسول الله ﷺ الشفاعة العظمى،وأن لكل مؤمن شفاعة فى أخيه المسلم، وأطمع إن شاء الله أن أنال الخير برسول الله عليه وسلم ثم بشفاعة إخوتي المؤمنين، بل وأرجو بحس ظني فى الله ما هو فوق ذلك مطمئنا قلبي، وإن كثرت ذنوبي وعظمت خطاياي فإن الله تعالى لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات وهو ذو الفضل العظيم.

رشفة من طهور الأرواح:

(1) سورة التحريم آية 8

(2) سورة الحديد آية 12

(3) سورة مريم آية 87

إن الله ذو الفضل العظيم فهو سبحانه وتعالى يكرم من شاء من رسله ومن أبدالهم الصديقين وورثتهم المجددين لسنتهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ فنعيم الجنة : إكرام من الله لأهل الإيمان، ونعيم الرضوان : إكرام منه سبحانه لأهل الإحسان، ونعيم المشاهدة : إكرام منه ﷻ لأهل الإيقان، وهناك فضل فوق ذلك : هو أن يؤنس من أحبهم وقربهم على بساط مؤانسته وقربه بما شاء من فضله العظيم عندما يتجلى بما هو أهله من الإحسان والجمال والنور والبهاء والكمال بعد أن تجلى بما هو أهله من الجلال والقهر والانتقام والقوة والبطش والكبرياء فيأنسون على هذا البساط بما يتنزل به لهم ويشهدون ما يحبه من العفو والمغفرة والإحسان والإكرام لأنه العفو الغفور التواب المحسن الحنان المنان، فيسألونه ﷻ أن يتحلى بمعاني صفات أسماء جلاله، وسؤال الله تعالى مخ العبادة ويشفعون فيشفعون ويسألون فيجابون ودليل ذلك قوله تعالى : (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ)(1) إشارة إلى المقربين من حضرته، ومتى شاء أن يشفعهم فيمن عرفوهم فى الدنيا قبل شفاعتهم وأخرج من شاءوا إخراجه من النار بفضله وإحسانه وكرمه وقال تعالى : (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فيها) (2) إشارة إلى أهل الجنة.

والشفاعة ليست من الأمور المستحيلة بل هي جائزة، إذ ليس من إهانة الله تعالى أن يقف عبد محبوب له فيسأله ما هو من صفته من الرحمة والعفو والإحسان والكرم، وقد أخبرنا ﷻ أنه يحب المحسنين ومع المحسنين، فإذا كان يحب ذلك منا فى الدنيا فكيف يكرهه يوم القيامة ؟! وتلك الأمور الغيبية التى لا تقتدر العقول أن تدرك معانيها يجب علينا أنا إذا حرمنا الذوق أن لا نحرم التسليم ؛ لما ورد عن رسول الله ﷺ فى مثل هذه المسائل، ومن حرم التسلم والذوق حرم الخير كله

(1) سورة الزمر آية 34

(2) سورة الزمر آية 34

وإن الذي حدي بمن أنكروا الشفاعة إلى ذلك هو خوفهم على العامة أن يتجاوزوا حدود الله تعالى ارتكانا على الشفاعة، أو خافوا مما يلزم على الشفاعة من أن هذا أمر لم يكن معلوماً لله تعالى، والحقيقة أن الله قدر الأقدار أزلا، وقدر أن تكون الشفاعة، فهو المريد المقدر كل شيء، ولافاعل سواه.

ولأهل مشاهدالتوحيد ذوق فى الشفاعة وغيرها، فإن الله له فضل عظيم لا يحصى ولا يعد منه أن ينسب الأعمال الصالحات – التى أعان العبد على عملها ووفقه لها وهداه إليها – إلى العبد إيجاداً وعملا فضلا منه، ثم يتفضل عليه بفضل أعظم من ذلك وهو أن يمنحه الملك الكبير جزاء على هذا العمل، والفضل فضله سبحانه أولاً وآخراً والعبد لم يكن شيئا مذكوراً، فهو سبحانه الذي أوجده من العدم وخلقه بيديه وهداه النجدين وأعان كل مخلوق على ما قدره له أزلا، فلا حرج على فضل الله تعالى أن يعظم أحبابه يوم القيامة فيجعلهم شفعاء لديه ويرفع مكانتهم بين خلقه فيقبل شفاعتهم ومن نظر إلى تلك الحقائق بعيون عقله المكتسب رد خاسئاً وحسيرا، ومن نظر إليها بعيون العقل الذي يعقل عن الله وبالنور الذي جعله له الله سبحانه اطمئن قلبه وقبل وأقبل وفرح بفضل الله وبرحمته (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياًّ مُّرْشِداً) (1).

قبس من المضنون

الإسلام دين الفطرة والكرامة:

أن الله قد سخر للإنسان ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه، ولم يسخر لنا السموات ولا الأرض إذ لم يجعل لنا قدرة على قلب حقائق أعيانها، وصدق الله العظيم فإنا والحمد لله قد انكشفت لنا الخواص التى هى فى السماء والأرض من المنافع التى بها نيل كمالاتنا البشرية، والفوائد التى بها تمكيننا فى الأرض ونيل أمانينا ؛

(1) سورة الكهف آية 17

فظهر لنا ما فى الحديد من البأس الشديد، والمنافع لنا بعد أن كنا لا نعلم ذلك بالتفصيل قال تعالى : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس...).

ولم تنكشف لنا تلك الأسرار إلا بتربية العقل بالصناعات والفنون واستعماله فى التجارب، حتى وصلنا إلى أن سخر لنا ما فى السموات وما فى الأرض – فإذا كنا نبلغ بالعقل هذا المبلغ من الطيران فى الهواء والعيشة تحت الأمواج المتلاطمة فى البحار العظيمة وقطع المسافات الشاسعة فى الفدافد و الوهادوفي نجد الأرض وبطحائها، وأمكننا أن نسمع صوت من بيننا وبينه عشرات الفراسخ بسبب أعمال العقل من دون أن ننكر شيئاً من ذلك، بل وأمكننا أن نعلم النسب الكائنة بين الأفلاك ومقادير أجرامها وأوقات قرانها وما هو أخفى من ذلك بسبب العقل. فلا معنى لإنكار ما فوق ذلك.

نلنا كل تلك الخيرات بالإسلام لأن المجتمع قبل الإسلام كان فى اختلاف بعضه يقدس إنساناً فيعبده، وبعضه يقدس كوكباً فيعبده، وبعضه يقدس الأنهار والبحار فيعبدها، وبعضه يقدس الأحجار فيتخذ منها التماثيل ويعبدها.

وكانت الصناعات قبل الإسلام قاصرة على ما صنعه سيدنا داود عليه السلام من الآلات الحديدية، ونهاية ما بلغه الإنسان أن المصريين أتقنوا صناعة الهندسة والعمارات والطب –خصوصاً الرمد – والفينيقيين تعلموا بناء السفن وسافروا فى البحار، والآشوريين والبابليين تعلموا فن الزراعة وعلوم الفلك، واليونان يرعوا فى فن التربية والسياسة والحروب فأستعبدوا كثيرا من الأمم.

وجاء الإسلام والعالم أجمع بين مستعبد لبعضه أو عابد لإنسان أو لحيوان كعباد العجل الذين كانوا فى مصر وفى الهند أو عابد لكوكب، وكل قوم يقدسون معبودهم، فلما أشرقت شمس الإسلام عرف المسلم قدره، وتحقق أنه ليس فوقه إلا الله، فاحتقر

كل تلك الحقائق المعبودة، وسخر كل شيء لنفسه وكان جنوب أوربا مستنيرا بنور الإسلام، فسرت تلك الأنوار أولاً إلى فرنسا بواسطة بن رشد وبما نشرته الأندلس عليها بواسطة مبادلة التجارات بين الأمتين ؛ فنفذ العقل من تلك الظلمات حتى علم أن له السلطان على كل الكائنات ولولا أهمال المسلمين فى الواجب عليهم لدعوة الدين والجهاد لكانت أوربا وأميركا أعظم جنود للإسلام.

أخذت أوربا من الإسلام أن الإنسان هو المتصرف وحده فى الممالك الثلاثة المملكة الجمادية والنباتية والحيوانية وانتشر بينهم معنى قوله : (اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مافى السماوات و مَّا فِي الأَرْضِ)(1) ووجدوا المسلمين بينوا حقائق الأجواء والأرجاء وخواص الكواكب وما فوق ذلك إلى العرش، فأخذوا كتب المسلمين من الأندلس ومصر والشام وبغداد وترجموها وانتفعوا بها فى أمور دنياهم، ولكنهم حرموا نور الحق فتركوا دينهم الذي كانوا عليه ؛ لأن عقولهم التى اكتسبوها بالعلوم الإسلامية لم تسلم بعبادة مخلوق، ولو أن نور التوحيد أشرق عليهم ببيان أهل المعرفة لفازوا بقسط عظيم منه ولكنهم وقفوا عند حد حظهم العاجل وأني لأطمع أن تقوم عليهم الحجة وتتضح لهم المحجة فيفوزون بقسط عظيم من التوحيد.

وسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة متوقفة على الإسلام وكل مجتمع لم يهتد للإسلام فهو شر على نفسه من الوحوش، وها هو تاريخ القرون القديمة والوسطى والحديثة برهان على صدق ما أقول يترنمون بالقرن العشرين ورفقة بالحيوان، ورحمة المماليك، والحقيقة أن العالم.

فى هذا القرن أشبه بأهل جهنم نزعت الرحمة من قلوبهم أصبح كل إنسان يسعى لضرر الآخر، صارت كل أمة تسعى لخراب العالم وإني لأعتقد أن الحيوانات الضعيفة فى غابات الوحوش آمنة على نفسها من المجتمع الإنساني، وكيف لا ؟ وتلك الآلات

(1) سورة الحج آية 56

الجهنمية تقذف بشواظ النيران على الإنسان فتلقى عليه الصواعق من الجو ومن البحار وفى شوارع المدن وطرقاتها، وكل ذلك لمخالفة شرائع الإسلام وسيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد ضيق فرجا.

خاتمة

هذا ما شرح الله صدري لبيانه وإنى أسأل الله العفو الغفور التواب الكريم أن يجعلني ممن سبقت لهم منه الحسنى سبحانه وأن يغفر لي ذنوبي وأن يتفضل على وعلى أهلي وإخواني بالعلم النافع والعمل الرافع لحضرته والقلب الخاشع لعظمته، وأن يغنينا به سبحانه عن شرار خلقه، ويحفظنا من الأمراض ومن شر الأشرار ويدفع عنا كيد الظالمين والحاسدين ويسخر لنا كل شيء هو فى ملكه وملكوته إنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد ﷺ وآله وورثته والتابعين.

خديم الفقراء

محمد ماضي أبو العزائم

تم بحمد الله وحسن توفيقه